دير مار مخايل
نهر بسكنتا

ميرسيني فينغوبولو

من مدينة الأنا
إلى مدينة الأنت

تعريب
ريما جاورجيوس

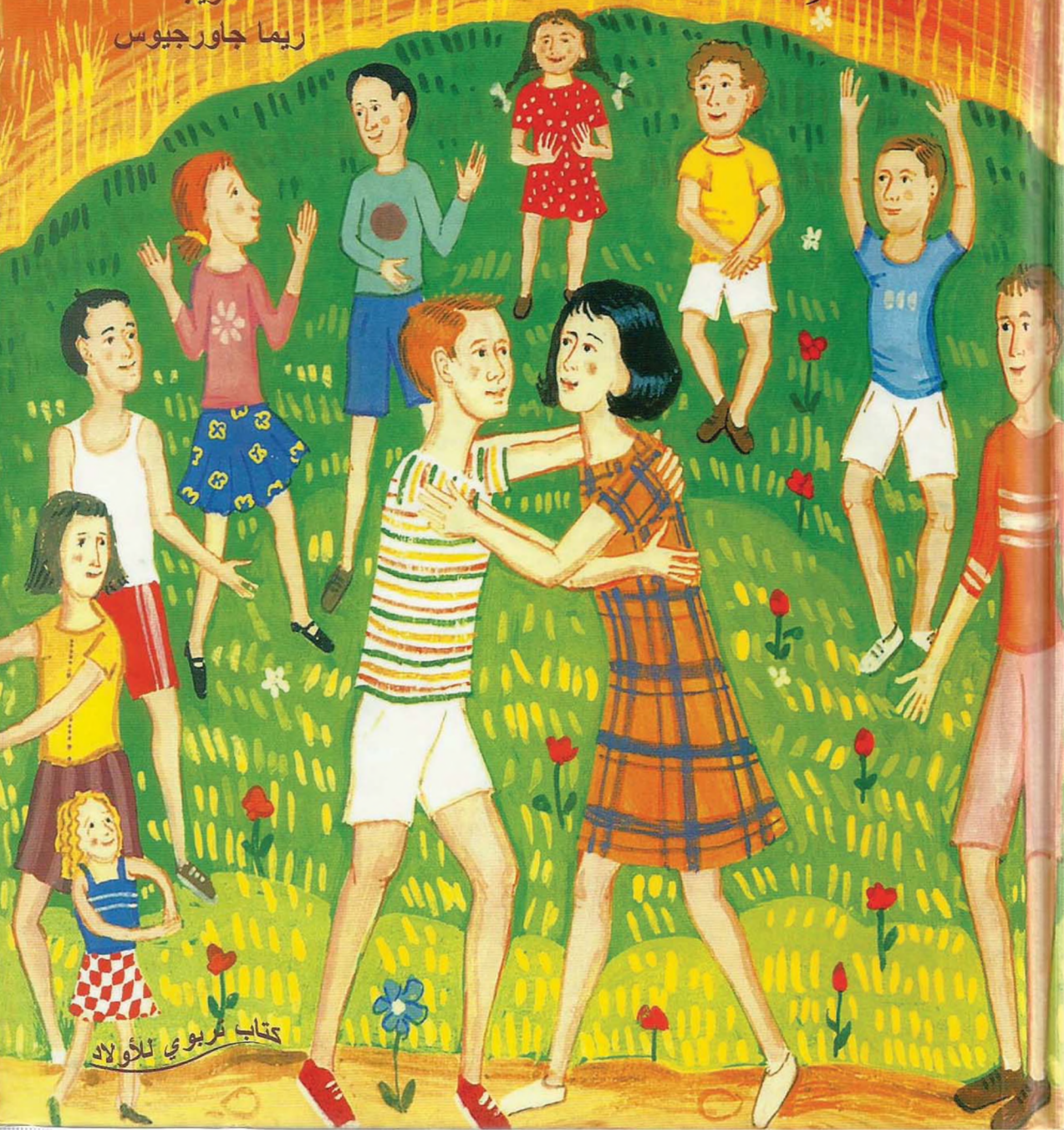

كتاب تربوي للأولاد

من مدينة الأنا
إلى مدينة الأنت

© Εκδόσεις Ακρίτας
Μυρσίνη Βιγγοπούλου
'Από την Εγώπολη στην Εσύπολη'
'Εκδόση Πέμπτη

• **كتاب: "من مدينة الأنا إلى مدينة الأنت"**
• تأليف: **ميرسيني فينغوبولو**
• تعريب: **ريما جاورجيوس**
• تدقيق لغويّ: **سلمى عبدالله**
ميشلين صوّان
• تصميم على الكومبيوتر: **إيلي المرجي**
• المصوّر: **قسطنطين لاذيانوس**

منشورات دير مار مخايل – نشرة رقم ٢٦
الطبعة الأولى ٢٠٠٦
نُشر حتّى الآن خمس طبعات باللّغة اليونانيّة

ميرسيني فينغوبولو

من مدينة الأنا
إلى مدينة الأنت

تعريب
ريما جاورجيوس

مقدّمة الكاتبة

لقد قابلت المغبوط الشّيخ باييسيوس مرّة واحدة في حياتي، وذلك قبل وقت قصير من انطلاقه في رحلته الأبديّة. فتعرّفت إلى حياته وتعليمه من خلال الكتب، ولاحظت كم كان يحبّ الأولاد ويتألّم من أجلهم. كان يقول: "إنّني قلق على الأولاد المعرّضين للخطر، وأصلّي إلى الله كي يمنحهم الاستنارة".

كان يؤمن بأنّ الإنسان، منذ صغره، يجب أن يتلقّى المساعدة كي يفهم معنى الحياة بعمق، كما يجب أن يتّحد بالله ويكون فرحًا؛ لأن اتّحاده به يجلب له النّعمة الإلهيّة، الّتي من دونها لا شيء يمكنه أن يساعده. لكن، لكي نتّحد بالله، ولكي يكون لصلاتنا فعلها، يجب أن نتخلّص أوّلًا من "أنانا" الكبيرة. كان الشّيخ يقول إنّ عذاب الإنسان هو الأنانيّة، بينما التّواضع هو الحكمة الحقيقيّة. والرّائد في الأنانيّة هو الشّيطان نفسه. أمّا الدّواء الفعّال فهو، دائمًا، الفكر الصّالح الّذي يساعدنا أكثر من أيّ عمل نسكيّ آخر.

لقد كتبت هذه الأسطورة بسبب محبّتي الشّديدة للأولاد، وفي محاولة لتبسيط الأمور الّتي تبدو لنا صعبة، لعلّنا، نحن الكبار، ومن خلال قراءتها، نساعد أنفسنا بنعمة الله، وبالتّالي يتلقّى أولادنا وأحفادنا المساعدة. لأنّ الأولاد، وانسجامًا مع معتقد الشّيخ، هم أشرطة فارغة تسجّل كلّ ما تراه فينا نحن الكبار.

إنّ أبطال الأسطورة هم تجسيدات لحالات نفس الإنسان وللحياة بشكل عام (عنيد، هدوء، تواضع ...).

أريد أن أشكر بحرارة كلّ هؤلاء الّذين شجّعوني كي أقوم بإصدار هذا الكتاب، وهؤلاء الّذين رغبوا في المساعدة والعمل عليه. في الحقيقة، لم يأت عمل هؤلاء الأشخاص انطلاقًا من محبّتهم للأولاد فحسب، إنّما أيضًا انطلاقًا من احترامهم لذكرى الشّيخ.

سأختم هذه المقدّمة بكلّمات قليلة من أقوال الشّيخ باييسيوس: "يا أولادي، إنّ الأمور بسيطة، ولكنّنا نحن مَن يصعّبها. فلنعمل إذًا، قدر المستطاع، كلّ ما هو صعب على الشّيطان وسهل على الإنسان. الطّريق الأسهل للخلاص هي المحبّة والتّواضع. لذلك، ابحثوا عن الفكر الصّالح دائمًا وحافظوا عليه كي تحموا نفوسكم".

لتكن صلاته معنا. آمين.

٢٥ آذار ٢٠٠١

بشارة والدة الإله

ميرسيني فينغوبولو

مقدّمة المعرّبة

أخذنا هذا الكتاب الجذّاب بأسلوبه الأسطوريّ البسيط، في رحلة مشوّقة إلى عمق النّفس البشريّة، حيث نجد أنفسنا، في أكثر من موضع، نتفاعل مع أبطاله الذين يجسّدون الحالات المختلفة الّتي نعبر فيها، فتنشأ فينا الرّغبة في التّحوّل إلى أناس ناضجين ممتلئين من حبّ الله والآخر يفعلون خيرًا ويفيضون صلاحًا.

"من مدينة الأنا إلى مدينة الأنت" عنوان جذّاب، وهو يشكّل دعوة إلى الانطلاق في مغامرة، قد تكون سهلة أو صعبة، لكنّنا إن سلكنا بحسب توجيهات الحكماء فيها، وكانت لدينا النيّة الصّالحة لعبور حاجز الأنانيّة الضّيّقة المهلكة، فلا بدّ من أن نبلغ هدفنا بمعونة الله.

يسير الإنسان في هذه الحياة محاولاً العثور على راحة نفسه الحقيقيّة، وبقدر ما ينغلق على ذاته في حبّ الأنا، يشعر بالضّياع، فيتعثّر كثيرًا في دروب الحياة. هذه الأنانيّة الّتي تشكّل حاجزًا كبيرًا تدخله في دوّامة من الأفكار السّيّئة الّتي تمنعه من التقدّم والشّعور بالبهجة في اكتشاف نفسه والآخر. فالأنانيّة تنتج عجرفة، وتعاليًا على الآخرين، وكبرياءَ بغيضة، وتفاخرًا فارغًا، ومحبّةً لمجد باطل. وما هذه كلّها إلاّ صورةً عن إنسان قديم لم يجدّده الخلق الجديد الّذي حصل بتضحية ربّنا يسوع المسيح على الصّليب وبقيامته من بين الأموات، هو الّذي قال لنا "إن لم تقع حبّة الحنطة في الأرض وتَمُتْ فإنّها تبقى وحدها. وإن ماتت أتت بثمر كثير." وبالتّالي نجد أنّ لا قيمة لحياة الإنسان إن أضاعها في حبّ الأنا، بل القيمة الحقيقيّة تكمن في الحصول على "أنا أخرى" تمنح

نفسها للآخرين، وبذلك يكتمل فرحها؛ فالفرح الحقيقيّ هو الّذي ينبع من التّضحية وبذل الذّات في سبيل الآخر. وهذا الأمر لا يحقّقه الإنسان في لحظة، في طرفة عين، بل في سعي جدّيّ ومحبّة حارّة نحو الله، تجعله يقترب يومًا بعد يوم من هذه الحرّيّة الّتي دُعينا إليها كأبناء الله. فالمرء إن حوى الله في داخله، فقد حوى النّاس كلّهم في قلبه. وهنا تحضرني قصّة ناسك عاش طويلاً في البرّيّة وفي التّقشّف والنّسك، جاء وطرق باب الله. وعندما سأله: "مَن الطّارق؟" أجاب "أنا" فقال له الله: "يلزمك بعد سنوات أخرى من النّسك." فقصد الصّحراء ثانية، وجاهد لسنين أخرى، وعندما أتى ثانية وقرع على باب الله، سأله السّؤال نفسه من جديد: "من الطّارق؟" فأجابه: "أنت". حينئذ فُتح له باب السّماء على مصراعيه. من هنا، فالإنسان الّذي يحيا في "حبّ الأنت" (حبّ الله والآخر)، تراه يشعّ فرحًا وسلامًا وهدوءًا ورأفة وتواضعًا وصبرًا وصلاحًا، كما أنّ الله يعطيه موهبة التّمييز ليسير في دروب الحياة بيقظة، فلا يشعر بالضّيق والعزلة والانفصال عن إخوته البشر، ولا يعيش وحيدًا بائسًا بمرارة وحزن يغلّفان حياته، ويجعلانه يتصارع كلّ يوم مع ذاته ومع الآخرين. بل يعيش في وحدة داخليّة تمكّنه من الشّعور بأنّه ذاتٌ واحدة مع الآخر، يشاركه أفراحه وأتراحه، ولا يعود ينظر إليه إلّا على أنّه الجزء الأنقى والأهمّ من هذه الذّات، إذ إنّ اتّحاده الدّاخليّ به يقضي على أناه ويحرّره منها.

في النّهاية، لا يسعني إلّا تقديم الشّكر إلى مَن منحني بركته لإتمام هذا العمل، أعني به قدس الأب أفرام كرياكوس، وأيضًا إلى كلّ من أستاذتي اللّغة العربيّة السّيّدة سلمى عبدالله والآنسة ميشلين صوّان اللّتين تعبتا جاهدتين لتنقيحه، والسّيّد إيلي المرجي الّذي عمل على إخراجه وتصميم صفحاته على الكومبيوتر، وأخويّة نشر الإيمان الأرثوذكسيّ الّتي قامت بطبع الكتاب على نفقتها الخاصّة مدفوعة من محبّتها الكبيرة للعطاء. أمّا الشّكر الكبير والدّائم فهو لله الّذي يعطينا من خيراته الغزيرة لكي نتمكّن من إتمام كلّ عمل صالح من أجل مجد اسمه القدّوس. آمين

معرّبة الكتاب
ريما جاورجيوس
سبت النّور ٢٠٠٦

مواطن صغير في مدينة الأنا

كان في قديم الزّمان مدينة كبيرة تدعى مدينة الأنا. بيوتها تتنافس في الضّخامة والجمال، وأسوارها كبيرة وعالية. وفي وسطها كان هناك تلّة من الغرانيت، عليها قصر لامع مصنوع من الجليد البلّوريّ. هناك كانت تقيم الإلهة **عجرفة**، الّتي كانت تتمتّع بمعرفة شاملة. كان سكّان مدينة الأنا معجبين بها جدًّا ويعتبرونها ملكتهم، فلا يتّخذون قرارات جدّيّة من دون موافقتها.

كان السكّان يحبّون مدينتهم كثيرًا، ويعتقدون أنّه ما من مدينة أفضل منها في العالم أجمع. لذلك، لم يشاؤوا قطّ الرّحيل عنها. إن قمت بتفقّد أسوارها العالية، فسوف ترى أنّه لا أبواب فيها سوى باب صغير من النّاحية الشّماليّة، يدخل ويخرج منه بعض القرويّين الّذين يعملون في الحقول المجاورة.

وعلى الرّغم من أنّ كلّ شيء كان يبدو جميلاً ولامعًا، فقد كان هؤلاء النّاس يعانون من مشكلة في عيونهم الّتي كان يغطّيها غشاء يمنعهم من الرّؤية بوضوح. حتّى الشّمس لم يكن بوسعهم رؤيتها منيرةً جدًّا كما هي في الحقيقة. ولكنّهم كانوا يعتقدون أنّ كلّ النّاس هم على هذه الحال. أمّا الشّجار فيما بينهم، فهو أكثر ما عُرفوا به. كان كلّ واحد من سكّان **مدينة الأنا** يريد أن تحصل مشيئته الخاصّة. حتّى الأولاد نادرًا ما كنت تراهم يلعبون معًا. إن كان هناك لعبة ما جماعيّة، فالكلّ يريد أن يترأّسها وما من أحد يتنازل. وهكذا، كانوا ينتهون في أغلب الأحيان إلى اللّعب كلّ بمفرده.

عنيد هو مواطن صغير في **مدينة الأنا**، وغالبًا ما كان يلعب وحده. واليوم،

ولمرّة أخرى، لا يريد أن يلعب مع أصدقائه، فقد تركهم ورحل. وأيّ أصدقاء هم هؤلاء الّذين لا يعترفون بأنّه الأفضل في الرّكض؟! فقط أمّه تقرّ بذلك.

السّيّدة **مجد باطل** تمدح أولادها وتبجّل بهم لأتفه سبب، فهي تؤمن بأنّها، بهذه الطّريقة، تقوّيهم وتمنحهم الثّقة، إذ من دون ثقة بالنّفس لا يستطيع أحد أن يكون مميَّزًا. وكان هذا مهمًّا جدًّا في مجتمع تلك المدينة.

في ذلك اليوم، شعر **عنيد** بقلق في نفسه؛ فراح يمشي بسرعة، وبين الحين والآخر يتنّهد كي يتخلّص من الغضب. واعتقد أنّه ربّما ستهدّئه نزهة حول الأسوار، فمن المبكر أن يذهب إلى بيته، وفيما هو يتنزّه، راح يفكّر في أصدقائه، وبقدر ما كان يتذكّرهم، كان يزداد غضبًا، وينقبض قلبه. رأى الأسوار العالية والبيوت الكبيرة، فاعتقد أنّها سوف تقع فوقه. فجأةً، رأى أمامه الباب الصّغير مفتوحًا قليلاً، واستغرب كيف كان مفتوحًا قليلاً! فاقترب ونظر إلى الخارج، فسمع صوتًا يقول له:
– "إيه يا صديق، مرحبًا".

استدار مرتعبًا، فرأى فتاة صغيرة تجلس على الأرجوحة خارج الأسوار.
– "مرحبًا"، أجاب وخرج. إنّها المرّةِ الأولى الّتي يَعْبُرُ فيها من هذا الباب.
– "من المؤكّد أنّك لست من هنا، لم أرَكِ سابقًا."
– "لا، لقد أتيت مع أبي لوقت قصير، وأنا الآن أنتظره".

لم يضيّع **عنيد** الفرصة كي يندفع ويدعوها إلى السّباق.
– "أتريدين أن نركض حتّى تلك الشّجرة، لنرى مَن سيربح؟"
– "طبعًا أريد! مللت من الجلوس لوقت طويل."
– "حسنًا، قفي، دعينا لا نضيّع الوقت. سأعدّ حتّى الثّلاثة لننطلق."

أخذا مكانهما واستعدّا: "واحد، اثنان، ثلاثة، لننطلق." المسافة حتّى الشّجرة ليست بقليلة، والاثنان كان يركضان جنبًا إلى جنب. ولكن، بقفزة مميّزة وصل **عنيد** أوّلاً.

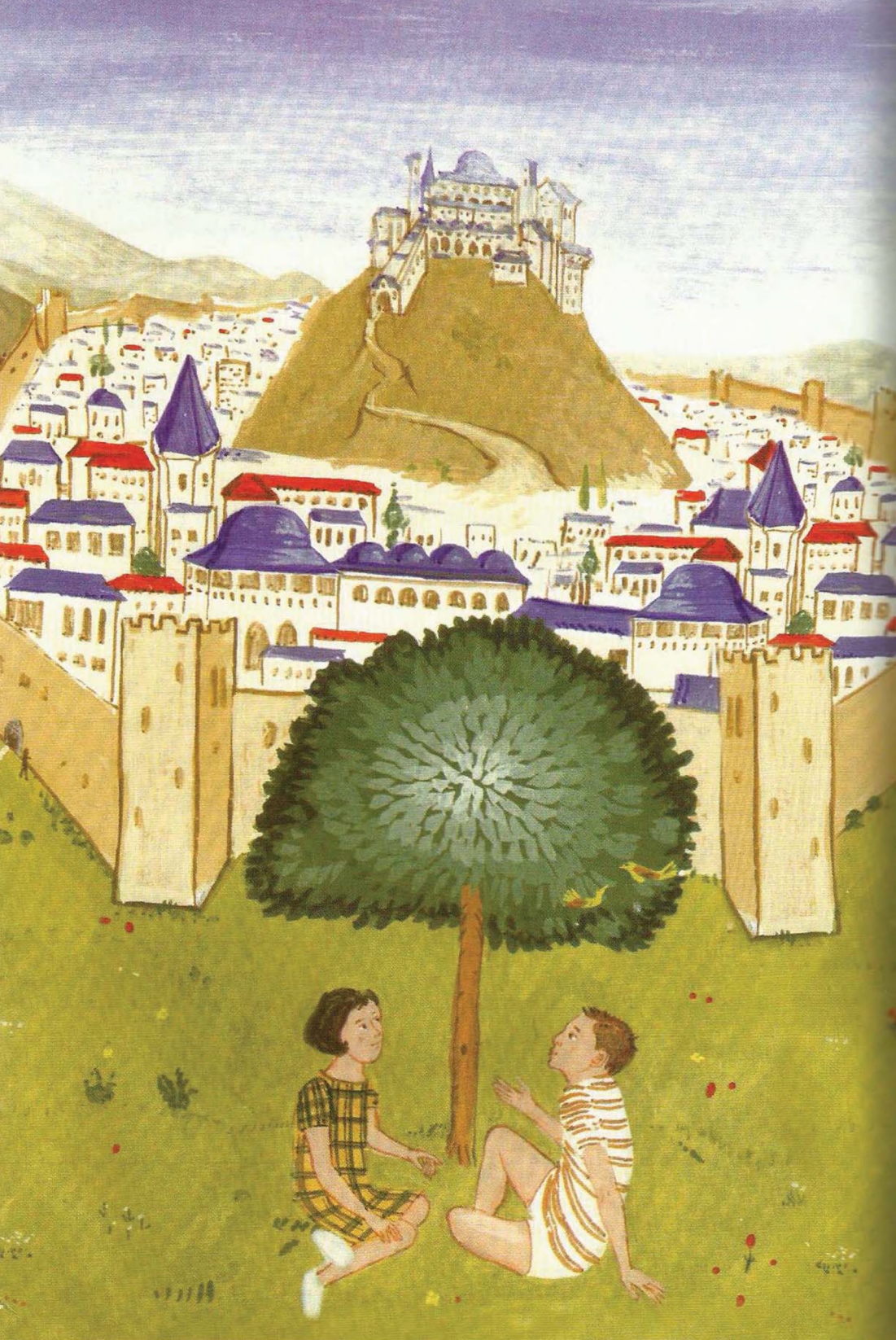

- "ممتاز! ممتاز!" صرخت الفتاة ومدّت يدها لمصافحته: "إنّك تركض كالرّيح".
- "وأخيرًا!" فكّر عنيد مسرورًا بأنّ هناك مَن يعرف قيمته. ثمّ تابع قائلاً:
- "إنّها لحقيقة أنّني الأفضل في الرّكض. كان يجب أن يتواجد العديد العديد من الأشخاص لكي يسمعوك! لكنّك لم تقولي لي ما اسمك؟"
- "هدوء. وأنت؟"
- "عنيد."

وجلسا تحت الشّجرة لاهثَيْن وفرحَيْن.

- "أتعلمين يا هدوء، قبل أن نلتقي، أوشكت أن أنفجر من الغضب!"
- "لاحظت ذلك عندما انحنيتَ لتنظرَ من الباب. إنّما أتعرف شيئًا؟ الغضب الكثير يُقَبِّح الإنسان، وأنت الآن أجمل."
- "لكن كيف لا أغضب! أتعرفين ماذا فعل بي أصدقائي؟"

ثم بدأ بإخبارها مشكلته، وهي كانت تسمعه بانتباه. وهو يتكلّم ويتكلّم ويتكلّم، وهي تسمع وتسمع وتسمع...

كان الوقت يمرّ بيُسر وفرح من دون أن يشعرا بذلك، إلى أن أتى والد هدوء.

- "هيّا لنذهب بسرعة من هنا يا ابنتي."
- مهلاً لأعرّفك إلى صديقي الجديد."
- "هل أنت من سكّان مدينة الأنا؟" سأله والد هدوء.
- "طبعًا. ماذا سأكون غير ذلك؟!"

ابتسم الوالد وداعبه قليلاً. ثمّ دعاهما عنيد إلى بيته. إنّما والد هدوء كان مستعجلاً جدًّا. فأمسكها بيدها وابتعدا بسرعة. أمّا عنيد الّذي كان يراقبها وهي ترحل، كان غاضبًا كثيرًا من والدها الّذي لم يقبل دعوته. فهو لا يعجبه أبدًا أن يُقال له: "لا". وفيما استدارت هدوء لتحييه، ابتسم لها محاولاً أن يخفي غضبه، لأنّه يريد أن يبدو وسيمًا. وفجأةً تذكّر أنّه لم يسألها من أيّة مدينة هي. فركض قليلاً خلفهما وصرخ:

- "هدوء، أين تسكنين؟"

فتوقّفت هي قليلاً، وصرخت له بقوّة:

- "في مدينة الأنت. تعال لتجدني!"

فُسمع الصّدى: "في مدينة الأنت، تعال لتجدني". وراح عنيد ينظر إليهما، حتّى اختفيا عن الأنظار خلف منعطف الطّريق.

الإلهة عجرفة

منذ تعرّف **عنيد** إلى **هدوء**، فقد هدوءه. ولا أحد يعرف شيئًا عن **مدينة الأنت**. لقد أظهر أصدقاؤه، في البداية، بعض الاهتمام بدافع فضولهم، ولكنّهم ما لبثوا أن سئموا الأمر. وحتّى أهله، وهم أناس كثيرو الانشغال، لم يتمكّنوا من الاهتمام لأسئلته بشكل مستمرّ. هكذا انتهى الى الاستنتاج أنّ **مدينة الأنت** هي مدينة غير مهمّة ما دام لا أحد يعرفها. منطقيًّا، يجب أن يتوقّف بحثه هنا: لا أحد في **مدينة الأنا** عنده الوقت من أجل أمور بسيطة وغير هامّة.

لكنّ **عنيدًا** يفكّر في **هدوء**، وقد أغرته فكرة أن يصير مكتشف مدينة غير معروفة، وأشعلت فيه الحماسة. وعليه بالتّالي أن يُعلِمَ أهله، ممّا استدعى اعتراضاتهم:

– "لكن، ماذا قالت لك هذه الفتاة لتتحدّث عنها باستمرار؟ ماذا لديها أفضل منّا؟ " سألته أخته.

راح **عنيد** يفكّر جيّدًا، ولاحظ أنّ **هدوء** لم تقل له الكثير من الأشياء، بل هو مَن كان يتكلّم معظم الوقت. غير أنّ الطّريقة الّتي كانت تسمعه فيها مبتسمة كان فيها شيء مختلف لا يستطيع أن يعبّر عنه بكلمات.

– "الأمر لا يتعلّق فقط بالفتاة، ولكنّني أريد أن أكتشف هذه المدينة. أنت يا أبي ماذا تقول؟"

– أنا أقترح عليك ألا تقرّر أمرًا قبل أن تستشير ملكتنا. من المؤكّد أنّ **عجرفة** تعرف **مدينة الأنت**، ومن الجيّد أن تسمع رأيها، ومن ثمّ تقرّر ماذا ستفعل."

– "وأنا أوافقك الرّأي"، قالت أمّه، "فالملكة تعرف كلّ شيء. إنّها لفرصة أن

تذهب إلى القصر وتنقل لها احتراماتنا. عليك، يا ابني، أن تنجح بالتّأكيد! أتتخيّل كيف سيتكلّم الجميع عليك؟ ستصبح مشهورًا. احرص إذًا على أن تجعلنا فخورين بك."

- "غدًا سأذهب إلى القصر."

لأوّل مرّة سيقابل **عنيد** الملكة مقابلة خاصّة. يعرف أنّ مَن يريد أن يراها، عليه أوّلًا أن يقدّم تقريرًا عن مشكلته؛ فتطّلع عليه الملكة، ومن ثمّ تقرّر في شأنه. لم ينم **عنيد** طوال اللّيل وهو يكتب تقريره هذا، ثمّ يعيد كتابته مرّة تلو الأخرى.

في الصّباح الباكر، لبس ثيابه الجديدة وانطلق. طبعًا لم تكن المرّة الأولى الّتي يأتي فيها إلى القصر. فسكّان **مدينة الأنا** يمرّون مرتين من هناك، لكي يدعوا للملكة: مرّة في بدء السّنة الجديدة، ومرّة في عيد ميلادها حيث يقيمون احتفالات كبيرة. أمّا في ما خلا ذلك من الوقت، فلا يسمح لأحد بأن يزعجها، إلّا إذا كان عنده مشكلة جدّية.

بانتظار أن ينادوه، جلس **عنيد** مع آخرين في قاعة الانتظار يراقب المكان من حوله: هناك أعمدة كبيرة مدرّجة تمسك السّقف المرسوم بألوان زرقاء كالسّماء. أمّا الأرض فمفروشة بالمرمر البرّاق، والمقاعد مصنوعة من المخمل الأحمر العريض. ويسود المكان صمت عظيم. الصّوت الوحيد الّذي يُسمع فيه هو الصّوت الرّاعد للمنادي الّذي يقول الأسماء:

- "عنيد ساكن **مدينة الأنا** ابن **متفاخر**."
- "حاضر."
- "اتبعني."

فتبعه في ممرّ طويل، على جانبيه أبواب عديدة يقف أمام كلّ واحد منها حارس. ثمّ وصلا إلى قاعة العرش حيث يقف على باب المدخل حارسان صامتان جامدان كتمثالين. فأشار إليه المنادي أن يدخل؛ فبدأ قلبه يخفق بقوّة، لكنّه عبر الباب، ووقف منتصبًا، وبدأ السّير بافتخار كما في استعراض. نظرت

إليه **عجرفة** من فوق، من عرشها الذّهبيّ، وتاجها الماسيّ على رأسها، وشعرها منثور على كتفيها، وثيابها برّاقة بلون أحمر وتطريزات ذهبيّة. إلى جانب العرش وقف أمين سرّها منتصبًا. كان **عنيد** يعرف أنّ هناك ثلاثين خطوة تفصل بين المكان الّذي كان فيه والعرش. لقد قام أمس بعدّة تمرينات مع والدته ليتدرّب على إلقاء التّحيّة. وصل أمام الملكة وانحنى انحناءتين كبيرتين؛ هذا هو القانون: واحدة لقوّتها وواحدة لجمالها.

لحسن الحظّ أنّ **عجرفة** حرّكت شفتيها قليلاً وابتسمت له، وإلّا ظنّها غير حقيقيّة. والآن، وبعد أن صار قريبًا منها، لاحظ أنّ أنفها مرتفع أكثر من كلّ سكّان **مدينة الأنا**.

– "إذًا، أنت هو **عنيد** الّذي يريد أن يسافر ليجد **مدينة الأنت**؟"

– "نعم يا صاحبة الجلالة."

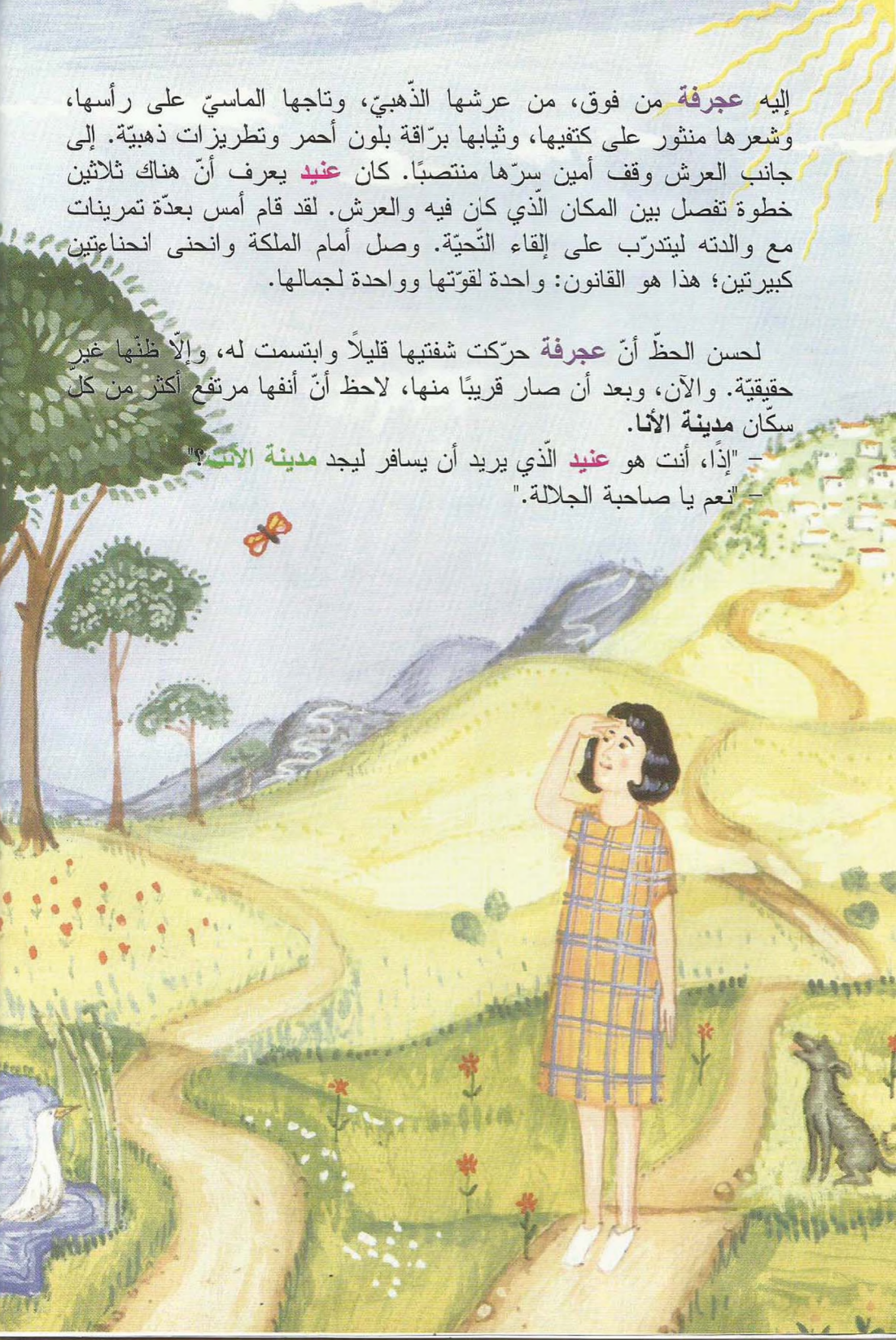

فقالت وهي رافعة ذقنها عاليًا، وجفناها نصف مغمضين:

- "ألا تعلم أنّ ما من مدينة أكبر وأجمل من مدينتنا؟"
- "أعرف ذلك يا صاحبة الجلالة، لكنّني أريد أن أكتشف تلك المدينة."
- "تفرحني جسارتك، هكذا يجب أن يكون جميع الخاضعين لي. لو كنت أعلم أنّ هذه الرّحلة تستحقّ العناء، لوافقت بكلّ سرور، ولأقمت احتفالاً عظيمًا عند عودتك. لكن، لسوء الحظّ، **مدينة الأنت** هي المدينة الأكثر سخافة على الإطلاق، وأناسها تافهون. علمت أنّ بعضهم مرّوا من هنا وأنّك تعرّفت إليهم."
- "نعم يا صاحبة الجلالة."
- "لقد تجرّأوا على أن يأتوا إلى هنا من دون أن يسجدوا لملكتك! هذا وحده يستدعي الغضب والقرف. وأنا، يا ولدي، أريد أن أحميك من مشقّة كبرى غير هادفة. ولكن، إن كنت تصرّ، تستطيع أن تذهب، إنّما انتبه! لا تقبل

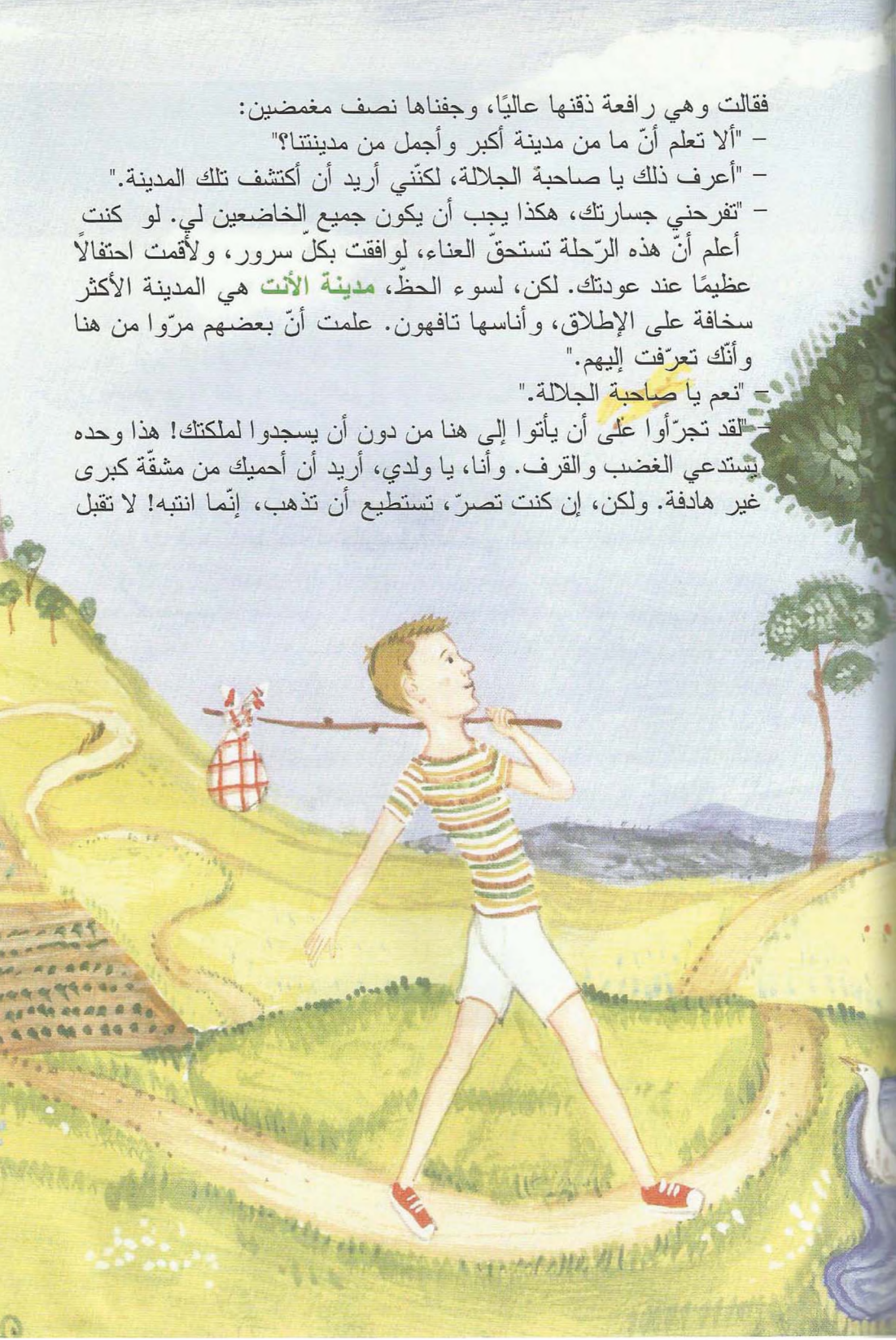

أبدًا أن يسيطر أحد عليك. حيثما ذهبت، ومع من وُجدت، قل دائمًا في داخلك: "أوّلاً أنا، أوّلاً أنا!" هاتان الكلمتان الصّغيرتان سحرّيتان، ستساعدانك على تجاوز الصّعوبات، وعندها ستكون دائمًا الرّابح. أتفهم؟"

- "نعم يا جلالة الملكة."
- "فلأسمعك تقول ذلك."

انتصب عنيد وصرخ:

- "أوّلاً أنا! أوّلاً أنا!"
- "أقوى يا ابني؛ أقوى! حاول أن تشعر بما تقوله!"
- "أوّلاً أنا! أوّلاً أنا!"
- "ممتاز! ممتاز! الآن تستطيع أن تذهب."
- "شكرًا يا صاحبة الجلالة. عائلتي ترسل لك احتراماتها."

أشارت إليه بيدها آذنة له بالرّحيل، فانحنى انحناءتين ورحل.

الشّيخ الحكيم

ان عنيد، قبل أن يزور القصر، قد اقترح على أخيه متكبّر، والّذي كان يكبره بثلاث سنوات، أن يرافقه في رحلته، إنّما هذا الأخير لم يبدِ أيّ اهتمام بما أثار حماسة عنيد، فكان جوابه له: "أنا مرتاح جدًّا هنا، ومدينة الأنا هي الفضلى بين المدن. فلماذا أشقى باطلاً بحثًا عن مدينة الأنت؟"

أمّا مَن كان يريد الذّهاب معه، فهو أخته محبّة المجد. لكنّ أهلها لم يوافقوا على ذلك بسبب صِغَر سنّها. وهكذا، وبعد سماع نصائح الملكة، انطلق عنيد وحده في رحلته الطّويلة.

مضت ثلاثة أيّام وعنيد يسير نحو المجهول. عَبَرَ جبالاً ووديانًا ضيّقة، لم يصادف مدينة ولم يرَ إنسانًا. انطلق بحماسة شديدة في مغامرته، إلّا أنّ اليأس بدأ يصيبه؛ فحنّ إلى المدينة الجميلة الّتي تركها، وراح يتساءل إن كانت مدينة الأنت تستحقّ هذا القدر من العناء. اقترب المساء وقلبه منقبض، نزل الجبل مفتّشًا عن مكان آمن يمضي فيه ليلته. شمّ رائحة شواء، ورأى من بعيد دخانًا يتصاعد خلف بعض الأشجار. أسرع الخطى، وهو يفكّر: مَن يا ترى يشعل النّار؟ طبعا إنسان ما. وإذ اقترب، رأى فتحة في إحدى المغاور، وشخصًا جالسًا خارجها، فركض قلقًا، لا يصدّق ما تراه عيناه: إنّه شيخ ذو لحية طويلة بيضاء، يجلس أمام الموقد وكأنّه يطهو شيئًا.

– "أيّها الشّيخ، أيّها الشّيخ." أخذ يصرخ راكضًا.

قام الشيخ وأشار إليه بأن يقترب. وصل عنيد لاهثًا ومرتعشًا. فأمسكه الشّيخ

بكتفيه وأجلسه على مقعد خشبيّ قرب النّار، ورحّب به قائلاً:
- "أهلاً وسهلاً، أهلاً وسهلاً. استرح قليلاً، ومن ثمّ نتكلّم."

مضى وقت طويل قبل أن يستعيد **عنيد** عافيته، ربّما لفرحه بلقاء إنسان، أو لركضه وقلقه! إنّها المرّة الأولى الّتي تصطكّ فيها أسنانه ولا يستطيع التّلفّظ بكلمة. رأى الشّيخ يتابع طهوه من دون اضطراب، فتعجّب كيف لم تفاجئه رؤيته، وكأنّه كان بانتظاره، فأخرج من المقلاة سمكة وقطّعها إلى جزأين، ثمّ سكب المرقة في صحنين زجاجيّين قائلاً:
- "اصطدت سمكة كبيرة اليوم، لأنّني شعرت بأنّ ضيفًا سيزورني. إنّه سمك نهريّ، سوف يعجبك."

لقد كان **عنيد** يشعر بجوع كبير، حتّى الحجارة المسلوقة كانت ستعجبه. فراحا يأكلان بصمت. ومع الطّعام السّاخن ورفقة الشّيخ، بدأ **عنيد** يهدأ رويدًا رويدًا. لكنّه تساءل لماذا لم يطرح عليه أيّ سؤال! أليس عنده فضول ليعلم سبب وجود ولد في هذه الصّحراء؟ فقرّر أن يكسر هذا الصّمت.
- "أبحث عن **مدينة الأنت**. ربّما سمعت عنها؟"

ابتسم الشّيخ وحرّك رأسه:
- "أعرف شيئًا عنها، أعرف شيئًا."

هبّ **عنيد** واقفًا، وأمسكه بكتفيه وهزّه:
- "قُلْ أيّها الشّيخ، قُلْ بسرعة! هل هي قريبة؟ ماذا تعرف عنها؟"
- "أرى أنّ الطّعام منحك قوّةً! اجلس!"
- "كيف لي أن أجلس؟ يجب أن تخبرني عنها حالاً! منذ ثلاثة أيّام وأنا أبحث عنها ولم أجدها؟"
- "وإن بحثت عنها مئة مرّة ثلاثة أيّام فلن تجدها."
- "لماذا؟"
- "لأنّك لا تبحث جيّدًا!"

توقّف **عنيد** عن قفزه الرّاقص وجلس:
- "اسمع أيها الشّيخ، قلّ ما لديك؛ فأنا لن أعود إلى **مدينة الأنا**، ما لم أجد **مدينة الأنت**. لقد أخذت التّعليمات من ملكتي."

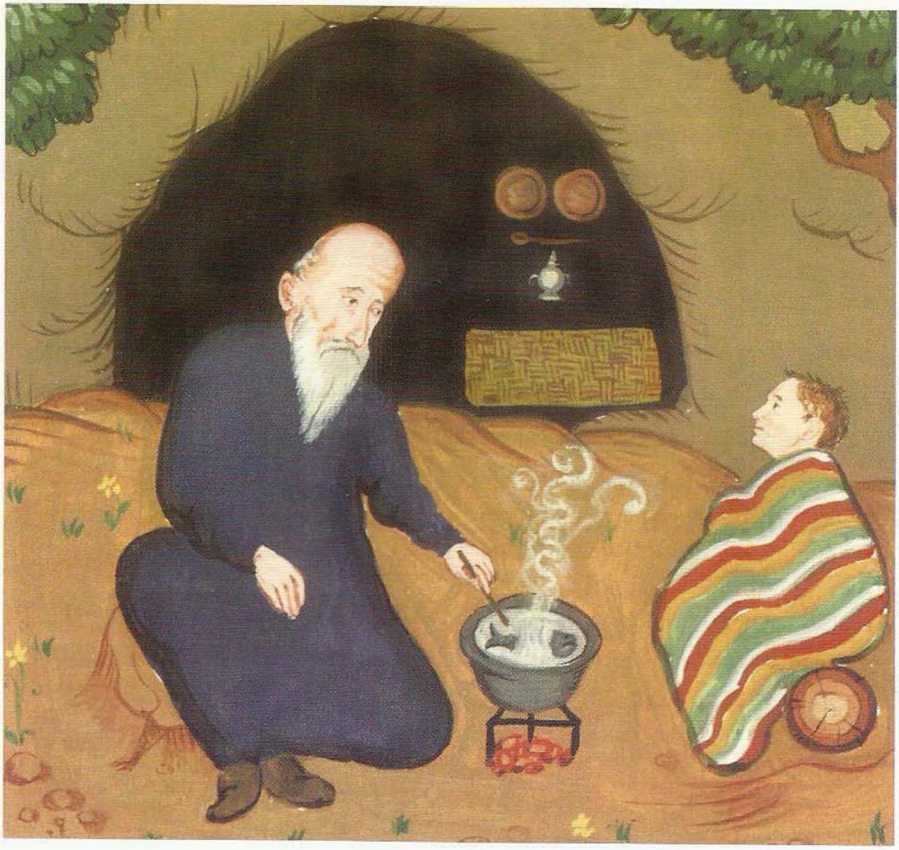

ابتسم الشّيخ:
- "إن اتّبعت تعليمات ملكتك، فمن المستحيل أن تجد **مدينة الأنت**."
هبّ **عنيد** مشتعلاً وقد احمّر وجهه، كما لو أنّ نحلة قد لدغته:
- "أحترم سنّك، أيّها الشّيخ، إنّما أمنعك من التكلّم بالسّوء على ملكتي!"
- "بما أنّني أراك تعبًا جدًّا، فمن الأفضل أن تنام وسنتحدّث غدًا."
- "أنا لن أنام! لا أشعر بالنّعاس!"
- "حسنًا، إذًا، سأذهب أنا إلى النّوم، ولكن تعال لأريك أين ستنام أنت."

ارتجف **عنيد** من الغضب، إنّما حاول أن يخفي ذلك قدر استطاعته. دخلا المغارة فكانت صغيرة، وبالكاد تتّسع لشخصين، وقد فُرش بساط في إحدى

جهاتها.

– "استلقِ هنا وتغطّ بهذا الغطاء"، قال الشّيخ.

أراد **عنيد** أن يسأل: "وأين ستستلقي أنت؟" لأنّه لم يرَ بساطًا آخر، لكنّه لم يفعل لأنّه كان غاضبًا. ففي النّهاية هو الضّيف، وهو أيضًا ولد؛ فليفعل الشّيخ ما يريد.

– "ليلة سعيدة يا ابني."

– "ليلة سعيدة"، أجاب متبرّمًا.

"آه لو أستطيع النّوم قليلاً"، قال **عنيد** في نفسه، "حالما يطلع الفجر، سأنهض لأذهب من جديد. أنا وحدي سأجد **مدينة الأنت**. لست بحاجة إلى أحد".

بعد أن لفّ ودار لوقت طويل كرأس المغزل، نام قليلاً. وعندما فتح عينيه، كان الظّلام لا يزال حالاً والشّيخ لم يكن هناك. خرج، فرآه يجلس على صخرة بعيدة وينظر إلى السّماء. الآن وبعد أن عبر عنه الغضب، أراد أن يكلّمه، فاقترب منه، لكنّه لم يعرف كيف يبدأ.

– "يتأخر كثيرًا طلوع الفجر؟"

– "ليس كثيرًا. أتريد أن ترحل؟"

– "ليس بعد. كنت أفكّر في ما إذا كنت تريد مناقشة الموضوع ثانية."

– "كما تحبّ."

– "أيّها الشّيخ، أريدك أن تسمعني وتساعدني."

– "يا ابني، أنا أساعد الجميع ولا أتجاهل أحدًا، عليك أن تعرف أنّ الإنسان بحاجة حتّى إلى النّملة."

– "لكنّك البارحة مساء لم ترد مساعدتي."

– "لقد جعلتك العجلة عصبيًّا وغاضبًا البارحة، ممّا جعل النّقاش مستحيلاً، إذ إنّه يحتاج إلى سكينة؛ فالغضب يجعل الإنسان يتكلّم بكلام غير لائق، ودواؤه الأفضل هو الصّمت."

– "أنت على حقّ! أنا اليوم أكثر هدوءًا. لقد كنت تعبًا جدًّا البارحة."

– "طبعًا كان هذا السّبب."

– "إذًا، قُل لي أيها الشّيخ، ماذا تعرف عن **مدينة الأنت**؟"

– "**مدينة الأنت**، يا بنّي، هي المدينة الأجمل في العالم."

– "أجمل من **مدينة الأنا**؟ لا أصدّق ذلك."

- "اصبر لتسمع! هذه المدينة ليس لها أسوار عالية ولا بيوت كبيرة، جمالها يكمن في شيء آخر. لكن لا أحد يستطيع أن يدخلها ما لم يعبر أوّلاً من ممرٍّ صغير منخفض مثل القناة."
- "أنا صغير، ومن المؤكّد أنّني سأتمكّن من ذلك."
- "لا أعتقد أنّك ستتمكّن من العبور بسهولة."
- "إذًا سأنحني."
- "هنا يكمن السّرّ. لكي تعبر، لا يكفي فقط أن تحني رأسك، عليك أوّلاً أن تصغّر أناك."
- "أيّها الشّيخ، لقد اختلطت عليّ الأمور."

ضحك الشّيخ وقال:

- "انتبه، سأشرح لك ذلك. ماذا قالت لك ملكتك قبل أن ترحل؟"
- "حيثما وُجِدْتُ، كلّ ما عليّ فعله، أن أقول دائمًا "أوّلاً أنا"."
- "حسنًا، لكي تجد **مدينة الأنت**، يجب أن تفعل تمامًا العكس. أوّلاً أن تجعل الأنت، أو مصلحة الآخر، فوق أناك، وأن تقول إنّ أخاك الإنسان هو مثلك وأفضل، وأن تعمل بحسب هذا القول، عندئذ يصغر أناك."
- "وأعبر الممرّ الضّيق؟"
- "تعبره بسهولة. وإن دخلت **مدينة الأنت**، فستقرّر البقاء فيها، ولن ترحل أبدًا من هناك."
- "من المؤكّد أنّك من هناك. لماذا رحلت؟"
- "لم أرحل. بكلّ بساطة أنا أجلس هنا لكي أرشد إلى الطّريق كلّ من يبحث عنها."
- "هل الطّريق طويلة بعد؟"
- "قد تكون قصيرة جدًّا، هذا يعتمد عليك."
- "ماذا تعني بذلك؟"
- "خلال مسيرتك، انتبه كثيرًا لفكرك. فكّر دائمًا في الصّلاح، لأنّك بقدر ما تفعل هذا، ستصبح الطّريق سهلة. في حين أنّك عندما تفكّر في السّوء، ستواجه الصّعوبات وستتعب عبثًا."
- "هذا فقط؟"

- "إنّه بغاية السّهولة. إيه، لو كنت أعرف ذلك منذ البداية! لكنت الآن في **مدينة الأنت**."
- "أن تصل متأخّرًا أفضل من عدم وصولك أبدًا."
- "طلع الفجر جيّدًا. يجب أن أذهب."
- "كل شيئًا أوّلاً ومن ثمّ تذهب."

بينما كان **عنيد** يأكل، حضّر له الشّيخ قليلاً من الأطعمة ليأخذها معه.

- "تضعها عبئًا أيّها الشّيخ. فأنا، إن لم أصل إلى **مدينة الأنت** عند الظّهيرة، فمن المؤكّد أنّني سأكون فيها عند المساء. أتوافقني الرّأي؟"
- "أتمنّى ذلك. إنّما، في كلّ الأحوال، خذها معك."

حالما ظهرت الشّمس من خلف الجبل، ودّع الشّيخ **عنيدًا**:

- "اذهب، يا ولدي، مع السّلامة."
- أشكرك كثيرًا، أيّها الشّيخ، على كلّ ما فعلته وقلته لي. أتريد أن أختصر لك ما قلته لي لكي تتأكّد من أنّني أتذكّر كلّ شيء؟"
- "أسمعك."
- "يجب، قبل كلّ شيء أن أضع مصلحة القريب فوق مصلحتي، وأن يكون لديّ دائمًا فكر صالح. هكذا يصغر أناي وأدخل **مدينة الأنت**."
- "تتذكّرها بشكلٍ ممتاز. اذهب، مع السّلامة، ولك دعائي."

الفكر الصّالح

نطلق **عنيد** وهو يصفّر ويغنّي. وبقدر ما كان يفكّر في صلاح الشّيخ وقدر مساعدته له، كانت الطّريق تنفتح أمامه. بدا له بسيطا جدًّا أن يفكّر باستمرار في الصّلاح. ولم يكن قد سار طويلاً، عندما رأى، من بعيد، إنسانًا يسقي حصانه: "ها هو إنسان صالح"، قال في نفسه. "فلأتوقّف لأكلّمه."

- "صباح الخير، يا صاحبي."
- "صباح الخير. هل أنت من هنا؟"
- "أنا ذاهبٌ إلى **مدينة الأنت**."
- "رحلة صعبة."
- "نعم، نسبيًّا. ليست صعبة جدًّا؛ فالنّجاح رهنٌ بإرادتنا."

وفيما هو يتكلّم، ترك كيسه فوق صخرة صغيرة، واقترب من الحصان وراح يداعبه، ثمّ قال:

- "عندك أجمل حصان رأيته في حياتي، افرح به! ماذا تدعوه؟"
- "**أجرب**."
- "**أجرب**؟ ألم تجد اسمًا أفضل؟"
- "يظهر، يا صديقي، أنّك لا تعرف الكثير عن الأحصنة؛ فأنا أرى أنّه لا يستحقّ حتّى هذا الاسم. **أجرب** وكثير عليه."

سأله **عنيد**، راغبًا في تغيير الحديث، عمّا إذا كانت مياه السّاقية نظيفة.

- "هنا أمامك ليست جيّدة تمامًا. ابتعد قليلاً إلى هناك، بين تلك الصّخور ستجد النّبع."
- "أشكرك، أنت صالح جدًّا."

ذهب إلى النّبع. وفيما انحنى ليشرب، سمع وقع حوافر الحصان. رفع رأسه ليرى الفارس يرحل مسرعًا، وقد علّق على ظهره كيس عنيد؛ فما كان من عنيد إلّا أن ركض نحوه غاضبًا وهو يصرخ:

– "أيّها الحقير، توقّف، توقّف! كيسي. أرجع لي كيسي!"

لكنّ الفارس ابتعد. حتّى إنّه لم يستدر ليراه.

– "سارق حقير! إنسان خسيس! إنّني أنا الملام الوحيد لأنّني كلّمتك حسنًا ومدحت حصانك أيضًا، أيّها السّارق السّيّئ!"

فبدأت الطّريق تضيق. وراح عنيد يمشي مكلّمًا نفسه: "آه، أيّها الشّيخ، ماذا فعلت بي! فاللّوم يقع عليك في ما حلّ بي. لو أنّني سمعت لملكتي، لما كنت تعرّضت الآن لكلّ هذا كالأبله! انظر ماذا حدث لي الآن بامتلاكي الفكر الصّالح. إنّما، أيّة نصيحة يمكن أن يسديها إليك إنسان عجوز؟!"

امتلأت الطّريق بحجارة كبيرة وأصبح المشي فيها صعبًا.

– "لو أنّني لا آسف على المجهود الّذي قمت به لآتي إلى هنا، لكنت عدت كي أعيد لك نصائحك؛ فهذه الطّريق السّيّئة امتلأت بعلّيقات تدمي رجليّ."

حلّت الظّهيرة، وأصبحت حرارة الشّمس حارقة جدًّا، وما من مخرج. جلس عنيد، وقد حرقته الشّمس، جاهلاً من أين يذهب. شعر بالجوع وتذكّر الأطعمة

القليلة الّتي وضعها الشّيخ في كيسه، فحنى رأسه ليسنده بين يديه الاثنتين؛ فرأى بين الحجارة والعلّيقات خنفساء كبيرة تخرج وتمشي رويدًا رويدًا، وهي تدفع حبّة توت علّيق كبيرة. فمدّ يده وأخذها، ثمّ نفخ عنها الغبار وأكلها. اضطربت الخنفساء قليلاً ودارت حول نفسها، فقال لها عنيد:

– "عبثًا تفتّشين، لقد ابتلعتها. سامحيني لأنّني حرمتك من وجبتك، فأنا جائع. هلاّ تذهبين كي تجلبي لي حبّة أخرى؟"

ومن دون أن تعترض، تابعت الخنفساء طريقها.

– "هذا يُعتبر بالطّبع سرقة، يا خنفسائي. إنّما كما ترين، عندما تجوعين تنسين طرقك الحسنة."

حينئذ، كالبرق مرّ في ذاكرته الإنسان الّذي أخذ له كيسه، فراح يفكّر في نفسه: "أتعتقد أنّه كان جائعًا؟ – طبعًا، المسكين، لهذا لم يحسب حسابًا لشيء. كان ضعيفًا وشاحبًا، وأنا ناديته وقلت له كلّمات كثيرة".

لقد شعر **عنيد** بالنّدم، ثمّ تابع قائلاً: "أترى، لو استطاعت الخنفساء الكلام، ألم تكن لتناديني أنا أيضًا بالسّارق الحقير، أو ربّما كانت سترحل صامتة؟" نهض من مكانه وراح يبحث عنها.

– "أين أنت أيّتها الخنفساء؟ اختفيت كلّيًّا؟"

وبينما هو يبحث عنها، تنفتح عن يمينه الطّريق واسعة، فيمشي فرحًا من جديد. وعلى مسافة قريبة يجد شجرة تين مليئة بالتّين الشّهيّ، إلى جانبها يجري ماء؛ فجلس تحتها ليرتاح، وبينما هو يأكل التّين، تذكّر الشّيخ الحكيم، وراح يكلّم نفسه: "أنت، يا جدّي، قلت لي أشياء صالحة، إنّما، وعلى ما يبدو، أنا أنجح فيها فقط نظريًّا. بدت لي سهلة، وظننت أنّني قد استوعبتها فاختصرتها لك، لكنّ تطبيقها صعب جدًّا".

أكل وشرب فاستعاد قوّته. وقد انفتحت الطّريق أمامه بكلّ سهولة. فراح يعدو أسرع فأسرع مناديًا:

– "**مدينة الأنت، هدوء**، أنا آتٍ إليك."

صعد إلى تلّة عالية، من دون أن يشعر بالأمر. وتوقّف ليرى المشهد غير مصدّق عينيه: بين الأشجار العالية والأنهار والموانئ الصّغيرة هناك بيوت منخفضة كلّيّة البياض، متفرّقة مثل حملان في المراعي؛ فشعر بفرح كبير، وراح يصرخ متهلّلاً:

- "وجدتها! وجدتها!"

لقد أصبحت الطّريق أكثر سهولة. وبقدر ما كان **عنيد** يقترب من الأسفل، كان قلبه يزداد خفقانًا. وكان يفكّر أيضًا في المفاجأة الّتي تنتظر **هدوء** عند رؤيته. حالما يصل، سيسأل أوّلاً عن بيتها، وسيتوّجه مباشرة إليه. فجأة تذكّر والدها الّذي أخذها بسرعة ورحلا، فقال: "آه، توقّف قليلاً، دعوته إلى بيتي ورفض. إيه، لن أذهب مسرعًا، سأجد أحدًا ليعلمه بأنّني وصلت، حتّى يتعب السّيّد الوالد في دعوتي. سأرفض أوّلاً ومن ثَمَّ..." وقبل أن يكمل فكرته، تعثّر! وبما أنّ الطّريق كانت نزولاً، راح يتدحرج كالبرميل، حتّى وصل إلى الأسفل، أمام نهر عريض وخطير حيث فقد وعيه.

تواضع الجميلة

"هيا، افتح عينيك وانظر إليّ!"
فتح **عنيد** عينيه ورأى فتاة تداعب شعره.
- "هيّا حاول أن تنهض على مهل."
- "تؤلمني قدمي."
- "نسبة إلى الوقعة الّتي تلقّيتها، فجروحك ليست مهمّة. تعال، اشرب قليلا من الماء."

بقليل من الماء المنعش، وبعض الحنوّ من هذه الفتاة الطيّبة، تعافى **عنيد** بسرعة.
- "قبل أن أقع، كنت أرى مدينة صغيرة. الآن لا أرى شيئًا."
- "الأشجار المحيطة بالنّهر عالية جدًّا، وهي تحول دون رؤية المدينة."
- "أهي **مدينة الأنت**؟"
- "نعم."

نهض واقفًا.
- "انتبه لقدمك، يا بنّي!"
- "لكن كيف أصل بالقرب منها، ومن ثمّ أضيّعها؟ كيف جرى ذلك؟"
- "أنت تعرف."
- "ما أعرفه أنّ رأسي يحتاج إلى تكسير. بينما أفكّر أفكارًا صالحة، فجأة تتبادر إلى ذهني بعض الأفكار السّيّئة... وهذا ما يجعلني أعاني فيما بعد."
- "كلّ البشر تراودهم أفكار سيّئة. إنّما علينا ألاّ ندخل في نقاش معها."
- "ماذا تعنين بذلك؟"
- "عندما تراودك فكرة سيّئة، حاول أن تطردها، لأنّك إذا صدّقتها، فهي ستستدعي أفكارًا أخرى. وهذه الأخيرة تنزلق رويدًا رويدًا من عقلك إلى

قلبك."

- "تنزلق؟"
- "طبعًا، وعندما تصل إلى القلب، يحلّ الغضب والسّوء بك، والسّوء يجرّ سوءًا آخر. لذلك اطردها من البداية ولا تبالِ بها."
- "أحاول، إنّما لا أستطيع."
- "إن لم تستطع، فهناك خدعة أخرى."
- "تكلّمي، تكلّمي"
- "تضع في مقابل الأفكار السّيّئة فكرًا واحدًا كثير الصّلاح، وتثبت منتظرًا، وهو سوف يغلبها."
- "أيستطيع فكر واحد صالح أن يغلب أفكارًا سيّئة كثيرة بهذا المقدار؟"
- "وأكثر من ذلك حتّى."
- "آه! ما أجمل ما تقولينه! ماذا تُدْعَيْن؟
- "**تواضع**."
- "أنا أُدعى **عنيد** من سكّان **مدينة الأنا**. منذ أيّام أحاول أن أصل إلى **مدينة الأنت** ولا أنجح في ذلك."

ثمّ راح يخبرها بمعرفته **هدوء** وبكلّ ما عاناه حتّى وصل إلى هنا.

- "لا تيأس. لقد وصلت إلى جوارها خلال أيّام قليلة. وقد يمضي آخرون سنوات من دون أن يصلوا أبدًا. فيما أنت يفصلك عنها هذا النّهر فقط."
- "أتستطيعين مساعدتي لكي أجتازه؟"
- "سنجتازه سويًّا. أمْسِكْ بيدي ولا تخف شيئًا."
- "أخبريني يا **تواضع**، لماذا تبدو لنا كلّ هذه الأمور للوهلة الأولى سهلةً، فيما تكون صعبة جدًّا عند محاولة تطبيقها؟"
- "بقدر ما تكون "أنانا" كبيرةً، تكون الأمور صعبةً. الأنانية لا تنفع؛ فالمطلوب البساطة والتّواضع."

ثم سارا يدًا بيد، والنّهر ينحدر بجسارة.

- "لا أرى أيّ ممرّ."
- "إنّنا نقترب منه. أترى تلك الأشجار بين الصّخور الشّاهقة؟ إنّها تخفّف قوّة الماء. من هناك سنعبر."

في الواقع، إنّ النّهر، في ذلك المكان، يجري بهدوء أكثر. ووسط الماء صخور كبيرة، فراح **عنيد** و**تواضع** يقفزان من الواحدة إلى الأخرى، حتّى وصلا إلى ممرّ ضيّق، هو بمثابة قناة مظلمة صغيرة بين الصّخور. فقالت **تواضع**:

- "من هناك سنمرّ، وسنخرج إلى الجهة المقابلة."

تردّد **عنيد** وهو يتساءل: "أين تريد أن تأخذني هذه المرأة؟ كيف وثِقْتُ بغريبة بهذه السّهولة؟ ربّما تدّعي أنّها صالحة! سأكون حذِقًا وسأتركها تعبر وحدها. إن رأيتها تخرج إلى الجهة المقابلة، حينئذ سأعبر وحدي".

وحالما انحنت الفتاة لتعبر القناة الصّغيرة، سحب **عنيد** يده فجأة، فانزلق عن الصّخرة ووقع في النّهر. فسحبته المياه؛ وإن كان النّهر لا يبدو جارفًا، إلّا أنّ فيه تيّارات.

- "النّجدة! **تواضع** ...ـــع ...ـــع النّجدة!"

أمّا هي فلم تضيّع الوقت، قفزت إلى النّهر، وراحت تسبح بسرعة، ثمّ خطفته من ثيابه، ورويدًا رويدًا أخرجته من النّهر. مرّ قليل من الوقت قبل أن يستعيد عافيته.

- "من يعرف فيمَ فكّرت ثانية!" قالت **تواضع**.
- "دعك من ذلك، دعك من ذلك، من الأفضل ألّا أقول لك. هل تذكرين ما كنّا نقوله في البداية عن الأفكار السّيّئة الّتي تنزلق؟ وأنا انزلقت معها، وانظري إلى حالتي المزرية."

ضحكت **تواضع** وقالت:

- "كما ترى، أنا أيضًا حالتي تشبه حالتك المزرية."
- "لا أعرف كيف أشكرك، كدت أختنق."
- "إن أردت أن تشكرني، فلنذهب ونعبر إلى الجهة المقابلة. نحن مبلّلان، ويجب أن نغيّر ثيابنا."

ثمّ وصلا إلى فتحة صغيرة. فضغطت **تواضع** على يده.

- "أمسكيني جيّدًا. قودينـي أنت. لن أنجح أبدًا وحدي!"

كانت هذه الـ"أنت" هي الّتي ساعدت **عنيدًا** على تصغير أناه والدّخول إلى **مدينة الأنت**.

في مدينة الأنت

حتّى الآن كان **عنيد** لا يزال يعتقد أنّه ليس هناك من مدينة أجمل من **مدينة الأنا**. لكنّ ما يراه الآن أمامه، قد قطع أنفاسه.

– "حسنًا، كيف تبدو لك؟"

– "رائعة الجمال!"

– "أترى هناك، خلف الأشجار، الأولاد الّذين يلعبون؟ اذهب! من المؤكّد أنّ **هدوء** معهم. وإن لم تكن هناك، فسيأخذك هؤلاء الأولاد إلى بيتها."

عند سماعه ذلك، انطلق راكضًا ليرى **هدوء**، فصرخت به **تواضع**:

– "انتبه لرجلك!"

– "لقد تعافت"، صرخ لها من بعيد.

وصل لاهثًا إلى الأولاد الّذين لم ينتبهوا إليه بسبب ضحكهم وضجيجهم. أمّا هو، فقد كان بإمكانه أن يميّز **هدوء** من بينهم جميعًا. فهو يتذكّر ضحكتها وشعرها.

– "**هدوء** ... **هدوء** ..." صرخ بقوّة.

فاستدارت وهي مستغربة.

– "**عنيد**، صديقي العزيز!"

ثمّ تعانقا، وراحت **هدوء** تبكي من فرحها. فيما بدأ الأولاد، حالما سمعوا باسمه، بالتّصفيق والصّياح:

– "أهلاً وسهلاً بك في **مدينة الأنت**... أهلاً وسهلاً بك في **مدينة الأنت**!"

– "لقد انتظرتك. كنت متأكّدة من أنّك ستأتي!"

– "لكنّني مررت بصعوبات كثيرة."

– "المهمّ أنّك نجحت. تعال لأعرّفك إلى أصدقائي، لقد كلّمتهم عليك."

راح كلّ واحد منهم يشدّ على يد **عنيد**، ويذكر له اسمه. ثمّ انهالت عليه

الأسئلة كالمطر، ممّا جعل عنيدًا يشعر بالضّياع، فهو لم يعش استقبالاً حارًّا كهذا حتّى الآن. فتدخّلت هدوء:

- "حسنًا، اسمعوني! صديقنا مبلّل ومتعب، أقترح أن آخذه إلى البيت ليبدّل ملابسه ويرتاح وغدًا ..."
- "ليس غدًا، اليوم، اليوم!"
- "اليوم سيرتاح. غدًا سنلتقي كلّنا هنا، وسيخبرنا عنيد كيف وصل. موافقون؟"
- "موافقون! موافقون!"

وصرخ فتى طويل، كان يمسك بذراع عنيد منذ وقت:

- "سنذهب كلّنا يا رفاق إلى السّيّدة صالحة."

ثمّ انطلقوا منشدين:

السّيّدة صالحة، السّيّدة صالحة،
خرجت إلى الباحة
لترى عن قرب
من يُحضر الأولاد.

ضحك عنيد من هذه الأغنية العفويّة. أمّا الفتى الّذي يمسك بذراعه، فانحنى وهتف في أذنه:

- "أنا رؤوف أخو هدوء، والسّيّدة صالحة هي أمّنا."

في الواقع، خرجت السّيّدة صالحة إلى الباحة، وهي تحمل في حضنها فتاة صغيرة، وقد وقف بالقرب منها ولد أكبر بقليل مصفّقًا هو أيضًا بيديه الصّغيرتين. وبسبب ضجّة الأولاد خرج كلّ الجيران أيضًا، والكلّ معًا رحّبوا بـ عنيد. واحتضنته السّيّدة صالحة."

- "أهلاً وسهلاً يا ولدي."

فقد "عنيد" النّطق، ولم يعرف ما يقول. نادت السّيّدة صالحة ابنها البكر:

- "رؤوف، خذ عنيدًا وقل له أين سيغتسل. أعطه أيضًا ثيابًا نظيفة. وأنت يا هدوء تعالي لتساعديني على تحضير المائدة، فبعد قليل سيصل والدك."

... الكلّ جالس حول المائدة يستمع إلى عنيد وهو يخبرهم بمغامرته. أمّا

هو فلم يذكر شيئًا عن هؤلاء الّذين ساعدوه. لقد أراد أن يحظى وحده بكلّ المجد. وكانت طريقته مقنعة لا تترك للنّاس أيّ سبب لعدم تصديقه. أعجبوا به جميعًا، وراح والد هدوء يربّت على ظهره بمحبّة مبتسمًا.

- "جيّد يا ابني. يبدو أنّه كان لديك استعداد حسن في نفسك، لهذا ساعدك الله على الوصول إلى هنا."
- "لم يساعدني أحد. أنا وحدي نجحت في ذلك."
- "الله، يا ابني، يرى برأفة ويساعد كلّ خلائقه."
- "لا أعرف بأيّ إله تؤمنون أنتم. أمّا نحن، سكّان **مدينة الأنا**، فعندنا إلهة، إنّها ملكتنا. هي مَن ينصحنا، وبها نؤمن. كما أنّنا جميعًا نعرف أنّ الإنسان يخفي في داخله قوّة كبيرة تساعده على تخطّي الصّعوبات. لكنّني، وبما أنّني أتيت إلى هنا، أودّ طبعًا أن أتعرّف إلى إلهكم أيضًا."

حدّق الأولاد بعضهم ببعضهم الآخر. أمّا السّيّدة صالحة فقد ابتسمت لزوجها وهو يربّت بمحبّة على ظهره للمرّة الثّانية، ويقول له:

- "ستتعرّف إليه، ستتعرّف إليه."
- "أقترح أن نذهب اليوم. أين هو قصره؟"
- "قصره؟ قصره هو السّماء!"
- "السّماء؟"

هبّ عنيد واقفًا، وقال:

- "ولكن كيف تتواصلون معه؟ كيف يساعدكم؟ "
- "نتكلّم معه ببساطة، كما نتكلّم الآن."
- "ويسمعكم وأنتم بعيدون عنه؟ كيف يمكن ذلك؟"
- "طبعًا! هو موجود معنا دائمًا."
- "والآن هو هنا ويسمعنا"، قالت الصّغيرة زهرة .
- "أتقصدون بهذا أنّه غير منظور؟"
- "تمامًا!"

احمرّ وجه عنيد، وانتصب واقفًا، وقال:

- "في هذه اللّحظة أريد أن أتكلّم معه. قولوا له، من فضلكم، إنّ عنيدًا من **مدينة الأنا** يطلبه."

ابتسم الأولاد ونظروا إليه محتارين.

- "اجلس يا ولدي، اهدأ! شيئًا فشيئًا ستتعلّم كلّ شيء."
- "أنا أريد الآن!"
- "حسنًا، بما أنّك تريد الآن، فلنبدأ. أعتقد أنّ الشّيء الأوّل الّذي تحتاج إلى تعلّمه هو الصّبر."

في الواقع، مَن يريد أن يعلّم شيئًا لأحد سكّان **مدينة الأنا** يجب أن يتحلّى هو نفسه بصبر عظيم. فكما قلنا في البداية، إنّ سكّان **مدينة الأنا** لا يرون بوضوح، نتيجة الغشاوة الّتي كانت تعمي عيونهم بسبب أناهم الكبيرة، ولا يسمعون إلّا ما يهمّهم فقط؛ فهم يعتقدون أنّ ما يقولونه هو دائمًا صحيح، وبالكاد يستطيع المرء أن يبدّل لهم رأيهم. إلى جانب ذلك، هم يعتبرون أنفسهم أذكياء جدًّا؛ فكيف سيسمعون نصيحة أحد سكّان **مدينة الأنت** المتواضعين! وفي قاموسهم الخاصّ كلمة "متواضع" تعني "غبيّ"، فكيف سيستمعون إلى الأغبياء؟

وعنيد، إلى جانب أناه الكبيرة، يتّسم بعناد أكبر من اسمه حتّى. من جهة أخرى، السّيّد **صبور**، والد **هدوء**، كان عنده هو أيضًا صبر أكبر من اسمه؛ فكان أوّل ما فكّر في أن يفعله هو التكلّم مع عائلته على انفراد.

- "حسنًا يا أولاد، من اليوم ستعتبرون **عنيدًا** أخًا لكم. بما أنّ الله قد أرسله إلى هنا، فعلينا أن نساعده جميعنا. إنّ الأمر ليس سهلاً؛ يكفي واحد من سكّان **مدينة الأنا** كي يقلب **مدينة الأنت** بأكملها رأسًا على عقب. لكنّنا، وبمعونة الله وسكّان مدينتنا، نأمل أن ننجح في ذلك."
- "وعندما يخبرنا بحذاقاته المختلفة ألا نتكلّم؟ أنتركه يعتبرنا أغبياء يا أبي؟!" قالت **زهرة**.
- "مرّات عديدة، يا **زهرتي**، يكون أكثر ذكاء مَن لا يتكلّم."
- "هو دائمًا محبّ للظّهور، وهو، بشكل مستمر، يقول أنا وأنا. ويعتبر أنّ هذا الأمر هو سلاحه الّذي يحميه." أردف **رؤوف**.
- "حسنا، فلنستخدم نحن أيضًا سلاحنا، إنّها ساعة المعركة. **هدوء**، أنت حرّكت **عنيدًا** ليأتي إلى هنا، هل أنت جاهزة؟"
- "منذ وقت يا أبي."

- "ما هو السّلاح الّذي يغلب سكّان **مدينة الأنا**؟ أريد أنا أيضا واحدًا"، صرخت زهرة.
- "المحبّة يا بنيّتي، المحبّة"، قالت الأمّ، وأخذتها في أحضانها.

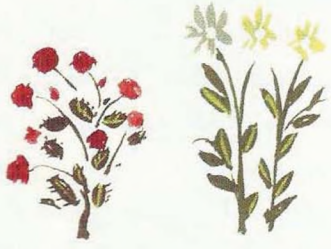

اللّعب في مدينة الأنت

حضّر عنيد للمرّة الأولى لكي يلعب مع أولاد مدينة الأنت، فشعر بالقلق، لأنّهم تجمّعوا أعدادًا كبيرة راغبين في اللّعب معه، وانقسموا إلى فرق، وصرخت "هدوء" قائلة:

- "استمعوا! يجب أن يكون أحدكم قائدًا للمجموعات. مَن يرغب في ذلك؟"
- "أنا! أنا!"، صرخ عنيد بقوّة، ورفع يديه عاليًا لكي يراه الجميع.
- "أنت! أنت!"، صرخ الجميع معًا، وبدأت اللّعبة.

لأوّل مرّة في حياته يلعب عنيد مع أولاد بهذه الكثرة: صغار وكبار، صبيان وبنات. ومن المؤكّد أنّه، مرّات عديدة، كان يغضب لأنّ الصّغار لم ينجحوا بشكل جيّد، فتتأخّر اللّعبة بسببهم. لكنّ الكبار كانوا يساعدونهم، ولا يحزنون بسبب هذا التّأخير الصّغير. وفي نهاية اللّعبة، كان كلّ الأولاد يجلسون معًا على العشب الطّريّ، ويطلبون إلى عنيد أن يخبرهم شيئًا عن وطنه. فيتفكّر لوقت قصير، ثمّ يتذكّر الأولاد في **مدينة الأنا**، الّذين لا يلعبون معًا أبدًا. كما يتذكّر أصدقاءه الّذين كانوا يسبّبون له اليأس على الدّوام، والكبار الّذين كانوا يتكلّمون دائمًا فيما بينهم ولا يعيرون الصّغار أيّ انتباه. لقد شعر بأنّه لا يريد أن يخبرهم شيئًا من هذا، وراح يفتّش عن شيء يثير انطباعهم، ويشعره بالفخر. وهكذا، بدأ بالكلام على ملكتهم عجرفة. وراح يتكلّم بحرارة على إلهته هذه. وكان الأولاد يستمعون إليه من دون أن يقاطعوه. وأنهى حديثه بوصف قصرها الفخم الّذي يزوره كلّ سكّان **مدينة الأنا** مرّتين في السّنة.

صرخت زهرة: "كم آسف للمسكينة الّتي تعيش داخل البلّور الجليديّ. عندما أفكّر في هذا فقط أقشعرّ."

- "أنا آسف لسكّان **مدينة الأنا** المساكين،" قال فتى طويل، "الّذين يرون

ملكتهم مرّتين فقط في السّنة."

- "لكن، من عنده مشكلة يتقدّم بطلب لرؤيتها."

رأت هدوء صديقها منزعجًا، فتدخّلت في المحادثة:

- "لا تسئ فهم الأولاد، نحن هنا مختلفون تمامًا، نحبّ ملكتنا ونحترمها، لكنّنا نراها عندما نريد، وهذا يحدث تقريبًا كلّ يوم، لأنّها ليست فقط ملكتنا، إنّما أيضًا معلّمتنا!"

- "معلّمة؟ أيُعقَل! ملكة تكون إلهة أفهم ذلك! لكن معلّمة؟ أوّل مرّة أسمع بهذا!"

- "غدًا لدينا درس، ستأتي معنا لتتعرّف إليها، وسترى بنفسك."

- "لنذهب الآن، الآن حالاً!" صرخ وانتصب واقفًا.

نهض رؤوف هو أيضًا وحضن عنيدًا قائلاً.

- "يا صديقي، اليوم لعبنا بشكلٍ جميل جدًّا، وقد فرحنا جميعنا. فلنذهب إلى البيت لأنّهم ينتظروننا على المائدة. غدًا سنذهب معًا لتتعرّف إلى ملكتنا."

وهكذا، بكلّمات حسنة قليلة ومحبّة كبيرة، نجح رؤوف في أن يجعل الجميع يذهبون إلى بيوتهم مسرورين.

الشّمس تشرق كلّ يوم

في اليوم التّالي استيقظ عنيد باكرًا جدًّا، وكان قلقًا. للمرّة الأولى سيتعرّف إلى ملكة مدينة الأنت. نظر حوله فرأى الأولاد الآخرين نائمين، لكنّ هدوء ورؤوفًا غائبان. نهض وخرج سائرًا ببطء، والفجر يشقّ بعذوبة. فرأى صديقَيه جالسَين في زاوية صامتين، ينظران إلى السّماء. اقترب من النّبع الصّغير الّذي يجري في الأسفل، وغسل وجهه بالماء المنعش ليستيقظ بشكل جيّد، وإذا بـرؤوف يشير إليه ليقترب منهما. جلس إلى جانبهما صامتًا هو أيضًا، وراح ينظر إلى الأفق، وكأنّ خطوط قمم الجبال اشتعلت، ورويدًا رويدًا يقوى اشتعالها.

- "نشكرك يا إلهنا لأنّنا أمضينا ليلتنا بسلام، ساعدنا في هذا النّهار الجديد، ظلّلنا بمحبّتك"، تمتمت هدوء وهي تشدّ على يدِ صديقها الصّغير.

شدّ رؤوف بدوره على يد عنيد كي يشجّعه. وفعلاً كانت لمسته الحارّة هذه قد منحت عنيدًا الهدوء والشّجاعة.

- "اطلب إليه شيئًا أنت أيضًا، إنّه يسمعك"، اقترحت هدوء على عنيد.
- "يا إله هدوء ورؤوف، ساعدني لأعرفك"، قال عنيد ذلك بهدوء.

في تلك اللّحظة بزغت إشعاعات الشّمس الأولى. وعلى غصن شجرة قريبة، حطّ عصفور وراح يفرد جناحيه، ويمدّ رأسه صوب الشّرق، ويطلق تغريده، فتستيقظ الخليقة.

- "لم أرَ يومًا فجر أحد الأيام! أيّ جمال! أيّة سكينة!"
- "هذا لأنّ الله يساعدك كي تتعرّف إليه"، قالت هدوء، "فألوان الشّروق هذه وجمال الطّبيعة لا يمكن أن تصنعهما أيدٍ بشريّة، ولا رؤساء ولا ملوك."
- "بدأت أؤمن."

- "آمن يا صديقي، آمن ولا تخف شيئًا!" قال **رؤوف** وهو يعانقه.
- "ما أخافه في هذه اللّحظة، هو مقابلة ملكتكم. فأنا لا أعرف حتّى قانون القصر. أيشبه قانوننا أم يختلف عنه؟"
- "ما هو هذا القانون؟" سأل **رؤوف**، "هذه المرّة الأولى الّتي أسمع فيها هذه الكلمة!"
- "ما هي الإجراءات اللّازمة للمقابلة: كم خطوة سأخطو للوصول إلى عرشها؟ كم انحناءة سأنحني؟ أخبريني يا **هدوء**."
- "أقترح عليك أن تهدأ. فأنت لن تحتاج إلى كلّ هذا. إنّ هذا القانون لا قيمة له هنا، فملكتنا محبّة. وأنا قد كلّمتها عليك وهي تنتظرنا بفرح. أفرغ عقلك من كلّ فكرة ضيّقة، ولا تدع الأفكار السّيّئة تفسد عليك هذا الصّباح الرّائع."

كلمات **هدوء** ذكرته بنصائح النّاس الّذين ساعدوه على الوصول إلى هنا، بغضّ النّظر عن عدم ذكرهم حتّى الآن، ولكنّه يتذكّرهم مرّات عديدة...

المفاجأة الكبرى

لقد اقتربوا من بيوت **مدينة الأنت** الأخيرة، ولم يرَ **عنيد** بعد أيّ قصر في المكان، في حين أنّ قصر مدينته ينتصب في وسط **مدينة الأنا**، ويراه الجميع. ثمّ صعدوا إلى أحد الجوانب الصّغيرة: "ربّما هو في الخلف"، فكّر **عنيد**. توّجه الأولاد نحو البيت الأخير، حيث الباحة مليئة بالورود، وكلب صغير أبيض، حالما أدركهم بدأ بالنّباح راكضًا باتّجاه **عنيد** الّذي كان يفكّر صامتًا، وقد نظر إليه بغضب. فانحنت هدوء وراحت تداعب الكلب قائلة لـ **عنيد**.

- "لا تخف، إنّه **شجاع**، خرج ليرّحب بنا."
- "من المؤكّد أنّك تمزحين! أين هو قصر الملكة؟"
- "ليس هناك من قصر، والبيت الّذي تراه أمامك هو بيتها"، ثمّ أشارت بيدها إلى الكلب وقالت ضاحكة: "و**شجاع** هو حارسها، الّذي يعلمها بالمقابلة."

عندما سمعت المعلّمة صوت الأولاد، خرجت لتستقبلهم، وأخذت ترّحب بهم من بعيد، أمّا هم فركضوا صوبها فرحين. فقط **عنيد** بقي مسمّرًا في مكانه، فاقتربت منه مبتسمة وقائلة:

- "أهلاً وسهلاً بك في **مدينة الأنت** يا **عنيد**!"

وحالما رآها **عنيد** عن قرب، عقدت الدّهشة لسانه، ولم يصدّق عينيه! أيُعقل أن تكون **تواضع**، هذه الفتاة الّتي ساعدته ليدخل **مدينة الأنت**، من دون حتّى أن يقول لها كلمة شكر قبل رحيله، هي نفسها المعلّمة والملكة؟!

- "ولكن ماذا أصابك؟" سألت **هدوء**.
- "لا شيء، لا شيء أصابه. ببساطة إنّه التأثّر، لأنّه يراني للمرّة الأولى"، أجابت **تواضع**.

هذه "المرّة الأولى" أصابته كالصّاعقة. وطبعًا، لم يكن ليعجبه إطلاقًا أن يكتشف الأولاد أنّ **تواضع** ساعدته على الدّخول إلى **مدينة الأنت**. رغبت **هدوء** في إخراجه من الموقف الصّعب، وبدأت تقصّ أخباره على المعلّمة التي كانت تحتضن الاثنين، واضعة يديها على كتفيهما، بينما يقتربون من البيت الصّغير. وبين الحين والآخر تشدّ أكثر على كتف **عنيد**، محاولةً أن تشجّعه.

جلس الأولاد في ظلّ شجرة عملاقة موجودة في باحة البيت، إلى جانب ساقية صغيرة، مستمتعين ببرودة الجوّ. فلاحظ **عنيد** الصّالون الملكيّ في الهواء الطّلق، حيث قطع خشبيّة كبيرة من جذوع الأشجار تستعمل كمقاعد، وفي الوسط هناك طاولة كبيرة مستطيلة مصنوعة من الخشب، عليها سلّتان واسعتان، فيهما أنواع كثيرة من الفاكهة.

كان الأولاد يخدمون أنفسهم، فتذكّر **عنيد** قاعات الطّعام الملكيّة في **مدينة الأنا**، وهي قاعات طعام هائلة ومزيّنة بالفاكهة الأكثر ندرة، ولكن لم يكن أحد ليتجرّأ حتّى على لمسها. فجعلته **تواضع** يجلس إلى جانبها، وكانت، طوال الوقت، تتكلّم مع الأولاد الآخرين وتمسك بيده، ورويدًا رويدًا بدأ يهدأ؛ فكلّ هذه البساطة تبعث فيه السّكينة. إنّها المرّة الأولى الّتي يندم فيها على الأكاذيب الّتي قالها، إذ إنّ ابتسامة **تواضع** الحارّة ولمستها البسيطة منحتاه الشّجاعة لكي يتكلّم قائلاً:

- "**تواضع**، هل أستطيع أن أسألك شيئًا خاصًّا؟"
- "اسألني ما تريد."
- "أنت، كملكة، ألا تتمنّين لو كنت تملكين قصرًا كبيرًا، وأن يكون عندك جنود وحرّاس وحاشية؟"

ابتسمت **تواضع** وقالت:

- "تأكّد أنّني لو طلبت من النّاس هنا أن يبنوا لي قصرًا، لبنوا الأجمل. لكنّ هذا لن يجعل حياتي أفضل، بالإضافة إلى

أنّه سيعرّضني لهموم كبيرة: جنود وحاشية وأعداد من النّاس الّذين يجب أن تقلق لأجلهم! كما أنّ سكّان مدينتنا لن يكونوا مسرورين بذلك، لأنّه سيفقدنا هذا الاتّصال البسيط والحارّ."

- "أنت على حقّ. ولكن، هل من السّيّئ أن يكون لدينا رغبات؟ أليس من المفترض أن نسعى لتحسين حياتنا؟"
- "كلّنا نريد هذا، إنّما يلزمنا الانتباه. فيمكن أن يكون هذا التّحسين فخًّا؛ فيجعل حياتنا أصعب. لذلك، من المفيد أن نضع لرغباتنا حدًّا. هكذا نقدّر ما لدينا ونفرح به أكثر."

وافق الأولاد على رأي معلّمتهم، فهم لا يريدون حتّى تَخَيُّل أنّه في كلّ مرّة يرغبون في المجيء إليها، سيكون عليهم طلب مقابلة من حرّاسها.

- "من المؤكّد أنّ هذا سيجعل حياتنا صعبة جدًّا،" قال رؤوف.

عندما سمع عنيد هذا الكلام، على الفور تبادرت إلى ذهنه ملكته، الّتي راح يفكّر في أنّه إن ذهب وقال لها كلّ هذا، فإنّها، من المؤكّد، ستجعل حرّاسها يرمونه خارج قصرها بالرّفس.

رغبت تواضع في أن تشكر الأولاد، فاقترحت عليهم أن يقوموا بنزهة قريبة.

- "سننزل الوادي العميق الضّيّق، ونصل إلى ينابيع النّهر."
- "ربّما سنلتقي بتيس برّي"، قالت هدوء. "هل سبق أن رأيت تيسًا يا عنيد؟"
- "لا!"
- "فلنأمل أن تكون محظوظًا."

ثمّ انطلقوا بعد دقائق قليلة وهم يغنّون.

تيوس الوادي البريّة

بعد فترة من الصّعود، وصلوا إلى حافّة الوادي العميق الضيّق. كان المشهد مدهشًا. استعجل الأولاد في النّزول. لكنّ **تواضع** لم توافق، واقترحت أن يرتاحوا قليلاً.

– "هنا الاستعجال لا ينفع. خذوا نفسًا عميقًا واستمتعوا بكلّ هذا الجمال."

انفتح الوادي أسفل أقدامهم، وارتفعت جوانبه بشكل مؤثّر. من جهة تحيط به صخور غرانيت، ومن جهة أخرى تملأه الأشجار. بعد قليل بدأوا بالنزول. كان الأمر في البداية سهلاً، فهم يسيرون في الطّبيعة، إلى جانبهم أزهار صغيرة نادرة، بعضها يبرز بين الصّخور والآخر ينتشر هنا وهناك ويلوّن المكان بألوان مختلفة. وكانوا كلّما توغّلوا نزولاً، ازدادت الطّريق صعوبة، وصارت الأرض مليئة بحجارة خشنة، فالمكان يتغيّر باستمرار. وحالما وصلوا إلى الجانب الضّيّق من الوادي، برز أمامهم النّهر. ماؤه المنعشة تجري بسرعة وتشكّل بركًا وشلّالات صغيرة. قفزوا فوق الصّخور الكبيرة ليعبروا إلى الجهة الأخرى، تاركين خلفهم خرير النّهر. ومَن لا يكون ثابتًا في قفزه فسوف يجد نفسه في الماء. والأولاد يستمتعون بذلك، تتّحدى ضحكاتهم تغريد العصافير الّتي تتنقّل داخل الشّجيرات الكثيفة.

بعد قليل وصلوا إلى الينابيع: بحيرات صغيرة وجوانب ظليلة. وزّعت عليهم **تواضع** وجبة غذاء خفيفة، وجدها الجميع أفضل من وليمة ملكيّة.

شعر **عنيد** بالحاجة إلى الانفراد بنفسه. اتّجه نحو حافّة النّهر حيث الماء هادئ جدًّا يناديك لكي ترتاح بالقرب منه. سمع وقع خطواته فوق الحجارة والأوراق اليابسة. جلس أسفل، وبدأ يرمي حصىً صغيرة في النّهر، ويتأمّل الدّوائر المائيّة النّاتجة عن ذلك، وكيف تختفي بعد لحظات. وسط هذا الجمال، كان عليه أن يكون فرحًا، لكنّه شعر بثقل في صدره. وبعد وقت قليل، سمع

وقع أقدام تتّجه نحوه، إنّها **تواضع**. جلست بقربه صامتة وراحت تقذف الحصى في الماء.

- "لماذا لم تقولي إنّنا تعرّفنا إلى بعضنا؟"
- "ماذا سأربح لو قلت ذلك؟"
- "من المؤكّد أنّني كنت سأغضب، إنّما وضعي الآن ليس أفضل."
- "إنّه ضميرك يوبّخك، لا يستطيع أحد أن يهرب منه. أعطانا إيّاه الله، كي نعرف متى نفعل الصّالح ومتى نفعل الطّالح."
- "قلت أكاذيب كثيرة."
- "من الجيّد أن نتجنّبها، تخدمنا الكذبة لوقت قليل، لكن لا شيء يبقى مخفيًّا. عندما تظهر الحقيقة، يصيبنا الحزن والاضطراب. لكن، لنقل إنّ هذا كان درسًا، فما يحصل معنا يعلّمنا، حتّى نحقّق الأفضل في النّهاية."
- "وما هو الأفضل؟"
- "أوّلًا، ستتوقّف عن قول الأكاذيب. ثانيًا، ستتعلّم أن تسمع الجرس الّذي يدعى "ضميرًا". فهذا سيحذّرك."

ضحك **عنيد** وقال:

- "تخيّلي، أنّني أحمل جرسًا في داخلي لسنوات عديدة وأنا لم أسمعه قط."

أمسكته **تواضع** وساعدته ليقف.

- "حسنًا، لنرى، هل نستطيع الرّكض فوق هذه الحجارة؟ "

مرّ الوقت بسرعة، وحلّ وقت الظّهيرة، واقترب موعد الرّحيل. إنّ الصّعود بالنّسبة إلى **عنيد** هو أصعب بقليل. الأولاد الآخرون يعرفون الطّريق، يتقدّمون أمامه وهم يغنّون ويصرخون. وعند وصولهم إلى القمّة نقطة الانطلاق، احتجّوا عند معلّمتهم لأنّهم لم يروا تيوسًا برّيّة.

- "لقد قلت لكم مرّات عديدة، إنّه عندما نصعد الوادي العميق الضّيّق وننزل إليه، علينا ألا نتكلّم كي لا نتعب ، وألا نحدث ضجّة بهذا المقدار، لكي نتمكّن من سماع وقع أقدام التّيس البرّي، وخشخشة الأشجار، وزقزقة العصافير ، ومياه النّهر؛ فأصواتكم هذه تجعل حتّى التّيوس البرّيّة في مدينة الأنت تخاف وتهرب."

وافق جميعهم على أنّهم في المرّة المقبلة سيكونون أكثر انتباهًا، فحرّكت

تواضع رأسها غير مصدّقة:

– "سنرى، سنرى! في كلّ مرّة تقولون ذلك، وفي النّهاية تنسون."

عندما تفعل الصّلاح افعله بطريقة جيّدة

مرّ وقت طويل مذ أتى **عنيد** إلى **مدينة الأنت**؛ فإلى جانب الضّيافة، في بيت **هدوء**، المستمرّة حتّى الآن، استضافته أيضًا عائلات أخرى. فأعطاه هذا فرصة لكي يتعرّف، عن قرب، إلى الطّريقة الّتي يعيش فيها سكّان **مدينة الأنت** ويقارنها بطريقة الحياة في **مدينة الأنا**.

ليس سهلاً أن تعيش في عائلة كثيرة الأولاد، خصوصًا وأنّك لست عضوًا فيها. ففي البداية، وجد **عنيد** صعوبة كبيرة لكي يعتاد على هذه الحياة، وكان كثيرًا ما يغتاظ بسبب الضّجّة الّتي كانت سائدة. وفي العائلات الكبيرة، تتوزّع الأعمال على الجميع، وحتّى الأولاد الصّغار ينالون نصيبهم من العمل. لقد رأى **عنيد**، مرّات عدّة، الصّغيرة **زهرة** تركض مسرعة لكي تطعم الدّجاجات وتجلس لتهزّ سرير الطّفل، بينما تحضّر والدتها الطّعام. كما رأى أيضًا الأولاد الأكبر يساعدون الأصغر: هذا قانون لا يتجاوزونه. وعندما يعمل الجميع، لا يستطيع أن يجلس هو، حتّى ولو كان ضيفًا، خصوصًا أنّ من اللّحظة الأولى كانت **هدوء** قد أظهرت له، هي وكلّ أفراد عائلتها، أنّهم يعتبرونه فردًا من العائلة. وهو بدوره، كان يساعد **هدوء** ورؤوفًا في أعمالهما، لكن من دون أن يفعل ذلك بداعي المصلحة. بل كان هدفه أن ينتهوا بسرعة لكي يكون عندهم وقت فيما بعد للّعب والنّزهات.

واليوم، اتّفقوا على أن يذهبوا لزيارة **تواضع**. هكذا وضع **عنيد** نفسه، منذ الصّباح، في خدمة السّيّدة **صالحة**، لكي تنتهي بسرعة، فحمل لها الحطب من أجل النّار، ومن ثمّ توكّل بريّ البستان والأزهار، وبالقيام بعدّة أعمال في البّاحة.

– " **عنيد**، **عنيد**!" رفع رأسه، فرأى جارتهم تتّجه صوبه مسرعة.

- "صباح الخير، سيّدة أمل، ماذا يجري؟"
- "من فضلك يا بنيّ، نادِ السّيّدة صالحة. أريد أن أكلّمها."

ركض "عنيد" مسرعًا ونادى السّيّدة صالحة الّتي أمضت بعض الوقت في الكلام مع جارتها، ثمّ دخلت إلى البيت، وخلعت مريولها؛ ممّا أقلق عنيدًا، واعتقد أنّها ترغب في الرّحيل، فتأمّل أن تأخذ معها الطّفل وزهرة. لكنّه سرعان ما خاب أمله حين رآها ترحل وحدها.

- "عنيد، أنا ذاهبة يا ولدي. إن احتاجت هدوء إلى شيء، ساعدها."
- "منذ البارحة قلنا لك، يا سيّدة صالحة، إنّنا اليوم سنذهب عند تواضع."
- "نعم، لكن الآن أعلموني أنّه يجب أن أرحل، ستشرح لك هدوء. إن عدت باكرًا، ستذهبان بعد الظّهر، وإلا فستذهبان غدًا. إلى اللّقاء يا ولدي."

غضب عنيد وردّ التّحيّة برفس دلو الماء الموجود أمامه. لكنّ السّيّدة صالحة خرجت بسرعة من باب الباحة، من دون أن تستدير لتنظر. وهي إمّا لم تنتبه، وإمّا تظاهرت بعدم الانتباه. في هذا الوقت، كانت هدوء تحمل أخاها الصّغير في حضنها، وتقف أمام النّافذة المفتوحة، فرأت المشهد.

- "حسنًا، ماذا لديك لتقولي الآن؟ رحلت أمّك. علامَ كنّا قد اتّفقنا؟"
- "ادخل، وسأشرح لك. لا يجوز أن نتكلّم عن بعد."
- "لا أحتاج إلى شروحات، أنا راحل وحدي، أمّا أنت فابقي هنا لكي تهتمّي بأطفالك."

رفس عنيد الدّلو مرّة أخرى، مودّعًا هدوء. ومن دون أن يعلم كيف، وصل إلى بيت تواضع. فركض شجاع، وهو ينبح، ووقف بين رجليه طالبًا ملاعبته، فقال له غاضبًا:

- "اربح نفسك وارحل من بين رجليّ، لا شهيّة لي للّعب."

استقبلته تواضع بانشراح كالعادة، وراحت تستمع إليه بانتباه عندما أخبرها بما دار بينه وبين هدوء.

- "فكّر، ربّما أخطأت لأنّك لم تنتظر لتسمع هدوء. فمن المؤكّد أنّ أمّها لن ترحل فجأة، من دون سبب وجيه. لكن، يبدو أنّ الغضب غلبك بدل أن تغلبه أنت."
- "لم يكن الأمر سهلاً."

- "طبعًا لا. ولكن، على الأقل، يجب أن نحاول، عند غضبنا، ألّا نقول كلّمات تجرح الآخر. ومن الأفضل أن ننسحب لوقت قليل حتّى نهدأ."
- "هذا ما فعلته، فقد رحلت."
- "بعد ماذا؟ بعد أن رفست الدّلو مرّتين!"
- "لكنّني قمت بأعمالٍ كثيرة منذ الصّباح. في حين أنّه حتّى في بيتي لم أكن أتعب إلى هذا الحدّ. أعتقد أنّهم يستغلّونني!"
- "تعتقد ذلك لأنّك تعمل منتظرًا مكافأة. في حين أنّه من الجيّد أن نساعد الآخرين بفرح، ومن دون أن ننتظر مقابلاً. والله هو الّذي يكافئنا في لحظة لا نتوقّعها."
- "لم أفكّر قطّ بهذا الشّكل."
- "أريد ان أسألك شيئًا: طوال هذه الفترة الّتي بقيت فيها في بيت هدوء، هل أظهر لك أحد أنّ وجودك غير مرغوب فيه؟"
- "لا، لا أحد."
- "ربّما اشتكوا منك لأنّك تتعبهم؟ أو انزعجوا من وجود شخص إضافيّ معهم؟"
- "لا، أبدًا."
- "ربّما عبسوا في وجهك مرّة، أو قدّموا لك الطّعام مظهرين عدم ارتياح؟"
- "على العكس. يعاملونني دائمًا بفرح!"
- "لو أنّهم فعلوا كلّ هذا بحماسة أقلّ، هل كان ذلك ليعجبك؟"
- "أبدًا. سيكون وكأنّهم يطلبون إليّ بطريقة غير مباشرة أن أرحل."
- هكذا كان ليحصل. لكنّ هؤلاء النّاس، لم يفعلوا فقط الصّلاح، إنّما فعلوه أيضا بطريقة جيّدة. هلاّ فكّرت في هذا قليلاً؟"

بقي الاثنان صامتين وقتًا قليلاً. ثمّ بدأ "عنيد" بالتّفكير، فاقترحت عليه تواضع الذّهاب في نزهة.

- "أعتقد أنّه من الأفضل أن أرحل، فـهدوء وحدها، وربّما تحتاج إلى المساعدة."

نظرت تواضع إليه مبتسمة، وقالت:

- "لقد اتّخذت القرار الصّحيح."

- "نعم، لكن كيف سأواجهها؟ ماذا سأقول لها؟ تصرّفت بفظاظة."
- "الأمر بسيط، اطلب المعذرة."

انتصب **عنيد** واقفًا، وكأنّ حيّة لسعته:

- "مستحيل! هذه الكلمة لم أتلفّظ بها قطّ. "
- "إنّها كلمة صغيرة جدًّا!"
- "مستحيل أن أنطق بها."

فضحكت **تواضع** قائلة:

- "ينبغي أن تحاول، وستنتصر حتمًا، فمجرّد الطّريقة الّتي نتصرّف بها، في بعض الأحيان، تظهر ما نضمره."
- "سأحاول! أشكرك على كلّ شيء."
- "مع السّلامة. قبّل الأولاد عنّي."
- "سأفعل بالتّأكيد."

رحل راكضًا، وهو يستعيد كلمات **تواضع** العذبة: "عندما تفعل الصّلاح، افعله بطريقة جيّدة، ولا تنتظر مكافأة".

ريح مدينة الأنت

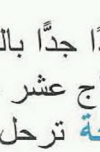

ان ذلك اليوم سعيدًا جدًّا بالنّسبة إلى عائلة هدوء، فقد أنجبت خالتها فتاة بعد زواج عشر سنوات، وكان هذا هو السّبب الّذي جعل السّيّدة صالحة ترحل مسرعة جدًّا في الصّباح. وعند عودتها ظهرًا، كان السّيّد صبور قد عاد أبكر من العادة، وصنع مع الأولاد حلوى لذيذة لكي يحتفلوا بالحدث. كان الكلّ فرحًا، ولم يظهر على أحد فيهم أنّه يتذكّر شيئًا من غضب عنيد. هكذا، تهرّب هو أيضًا من تقديم الاعتذار. وعندما اقترحت عليه هدوء أن يذهبا في نزهة، قبل بفرح. فانطلقا معًا بُعَيْد الظّهيرة. واستغلّ عنيد الفرصة لكي يسأل صديقته عن أمرٍ كان يزعجه منذ وقت:

- "عندما أتيت إلى مدينة الأنت علمت أنّ أحد الآولاد هنا يركض سريعًا جدًّا، وهو يُدعى ريح. هل هذا صحيح؟"
- "نعم، صحيح!"
- "من هو؟"
- "لا تقلق! كلّ الأولاد يركضون بسرعة."
- "ولكنّني أريد أن أتعرّف إليه وأن أتسابق معه. ما رأيك في أن ننظّم سباقات على الطّريق؟"
- "وإن ربحك؟"
- "لا يمكن أن يربحني."
- "لا تكن متأكّدًا إلى هذه الدّرجة. لنفترض أنّه وصل أوّلاً وربحك، ستفرح؟"

تردّد عنيد، ثمّ قال:

- "طبعًا لا. لن يعجبني أبدًا أن يربحني أمام كلّ الأولاد؟"

- "وإن ربحت أنت، علامّ ستحصل؟"
- "بالإضافة إلى أنّ الجميع سيصفّق لي وسيمدحني، سأحظى أيضًا بلقب ربح **مدينة الأنت**."
- "وماذا في ذلك؟ تقول أمّي إنّه علينا أن نتجنّب المديح لأنّه يجعل الإنسان متكبّرًا."
- "لكن، عندما يركض الأولاد ويلعبون، ألن يربح أحد؟"
- "طبعًا. إنّما الهدف هو الاستمتاع باللّعب، لا يهمّ من سيربح. وهكذا، لا يحزن مَن يخسر، ولا يتفاخر مَن يربح."
- "لكن، تعجبني سباقات الطّريق."
- "وأنا يعجبني أن أركض. في الحقيقة، لماذا نجلس؟ أتريد أن نركض؟"
- "أريد!"
- "حسنًا إذًا، لنفرح بما نحبّ!"

بدأ **عنيد** و**هدوء** بالرّكض. كانا يركضان جنبًا إلى جنب، بإيقاع بطيء وثابت. ثمّ تجاوزا **مدينة الأنت**، وخرجا إلى الحقول. وعندما وصلا إلى النّهر، اقترحت **هدوء** أن يتوقّفا قليلاً، ليشربا الماء ويرتاحا.

- "لأوّل مرّة في حياتي أركض لأنّه يعجبني وليس لكي أربح"، قال **عنيد**.
- "أليس رائعًا؟ عندما تركض ببطء وبإيقاع، تستمتع بالطّبيعة. حتّى إنّ الرّيح لا تلفحك، إنّما تداعب وجهك."
- "أتريدين أن نركض على طول النّهر؟"
- "نعم، لكن فلنركض ببطء أكثر، لأنّه مليء بالحجارة."

بدأا بالرّكض ببطء وبإيقاع. والنّهر يجري إلى جانبهم. ابتسم **عنيد** لـ**هدوء**، وحين رآها لا تقوى على الرّكض، تذكّر الرّيشة في الرّيح، وراح يسرّع خطواته. أمّا هي، فلكي تكون إلى جانبه، راحت تفعل الشّيء عينه. وكلّما رآها إلى جانبه، كان يسرع أكثر. ولكنّ محاولاته كانت تبوء بالفشل، إذ كان، في كلّ مرّة، يراها مجددًا إلى جانبه. فراح يقول في نفسه: "لا يعجبني ألا أتمكّن من تجاوز هذه الفتاة." ثمّ بدأ بالرّكض أسرع، وبذل كلّ قواه لكي يتجاوزها. لكن، في الأسفل، عليه أن يستدير خلف بعض الصّخور الكبيرة. وهناك سيحقّق

رغبته في أن يتجاوزها، فأخذ عنيد المنعطف بشكل ضيّق جدًّا حتّى يدخل أمامها. أمّا هي، فلكي لا تقع فوقه، اتّجهت نحو الصّخور فوقعت فوقها.

– "هدوء، هدوء!"

صرخ بصوت عالٍ. أمّا هي فلم تسمعه. إنّها فاقدة الوعي فوق الصّخرة، والدّم الأحمر يجري من جبينها. انحنى عنيد فوقها وحاول أن يجعلها تستفيق. لكنّه لم ينجح في ذلك. واستمرّ الدّم في جريانه. فغرق في يأسه، وراح يصرخ بقوّة:

– "النّجدة، النّجدة ... النـــ...النـــ...!"

لكنّ أحدًا لم يجبه سوى صدى صوته. فرفعها بين يديه، واتّجه نحو الماء.

– "قتلتك يا هدوء، قتلتك!"

بدأ يزرف دموعًا كثيرة وحارّة. ثمّ أسندها إلى حافّة النّهر، وبدأ يرشّها بالماء المنعش. وفكّ حزامها عن فستانها وربط رأسها، فخفّ الدّم.

– "هدوء، افتحي عينيك، افتحي عينيك لتري صديقك الأنانيّ الّذي يريد التفوّق والرّبح."

راح يفرك يديها ويكلّمها باكيًا:

– "ارفعي يدك يا هدوء، ارفعيها واصفعيني، ولا تكتفي بصفعة واحدة فحسب. افعلي هذا، لأنّني أستحقّ صفعات كثيرة، صفعات كثيرة جدًّا."

وفي وسط حزنه وبكائه، تذكّر إله صديقته الصّغيرة، هذا الإله الموجود في السّماء وفي كلّ مكان. وفيما هو راكع، رفع نظره نحو السّماء، وبدأ يكلّمه:

– "يا إلهي، أنت الّذي يرى ويسمع كلّ الأشياء، ولا أحد يمكن أن يختبئ منك. أنت تعرف أفكارنا الحسنة والسّيّئة، تعرف بكم من الاحتيال أردت أن أربح، لكنّك ترى أيضًا كم أنا تائب عن الشّرّ الّذي فعلته والأذى الّذي ألحقته بصديقتي المفضّلة. أتوسّلك يا إلهي، ردّها معافاة، أنت وحدك تستطيع أن تخلصها. أعدك بأنّني سوف أحاول أن أصطلح، ولن أطلب التّفوّق والرّبح بغشّ. الشّيء الوحيد الّذي أتوسّلك من أجله هو أن تردّ هدوء معافاة."

كان يتحدّث إليه ويبكي. إنّها المرّة الأولى في حياته الّتي يبكي فيها بداعي المحبّة والألم. وبقدر ما كان يبكي، كانت تسقط من عينيه تلك القشور الرّقيقة

الّتي تعمي عيون كلّ سكّان **مدينة الأنا**. وعلى الرّغم من دموعه، بدأ يرى كلّ شيء يلمع بقوّة. حتّى وجه **هدوء** المغطّى بالدّماء بدا له أنّه يلمع. ثمّ رآها تفتح وتغلق رموشها، فصرخ:

- "**هدوء**، أنت حيّة؟ أنت بحالة جيّدة؟ قولي كلمة!"

رفعت **هدوء** يدها ببطء وأسندتها فوق يده. فرفع يديه نحو السّماء مسرورًا، وقال:

- "أشكرك يا إلهي! الآن فهمت أنّك إله كلّ البشر، ولا تميّز بين النّاس. حتّى أنا الأنانيّ، سامحتني وسمعتني. لذلك، أطلب إليك أن تمنحني القوّة والشّجاعة لكي أصل بـ**هدوء** إلى **مدينة الأنت**."

رفعها بين يديه، وبدأ بالسّير ببطء فوق الحجارة. الطّريق صعبة، وصديقته الصّغيرة، حتّى ولو كانت كالغصن، فهي ثقيلة كفاية. إنّ هذه اللّحظة هي الأصعب في حياته. ولكنّه اليوم، يشعر وللمرّة الأولى بحضور الله، ولن يكون وحده بعد الآن. كان يسير ويفكّر فيه، ويتكلّم معه في كلّ لحظة، فهذا يمنحه الأمل والشّجاعة. وبين الحين والآخر كان يستريح، ومن ثمّ يتابع طريقه. إنّها المرّة الوحيدة الّتي لم يفكّر في نفسه، فما يهمّه هو حياة **هدوء**. كان قلبه يخفق بقوّة، والعرق يتصبّب من جبينه، ورجلاه تسكعان، فيخاف أن ينهار. لذلك، كان يطلب المعونة الإلهيّة باستمرار، ويتابع. وبعد قليل، رأى، من بعيد، البيوت ورجلين يعملان في أحد الحقول هناك، وقد ركضا نحوه حين لمحاه. فجلس على الأرض وراح يتمتم:

- "أشكرك يا إلهي، لقد عرفت أنّني لم أعد أحتمل، فأرسلت المساعدة. الآن فهمت أنّه من دونك لا نستطيع أن نفعل شيئًا."

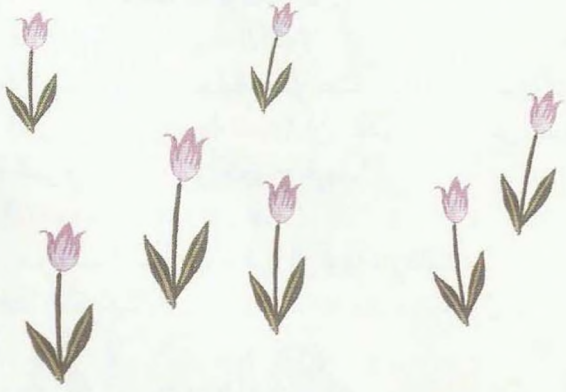

ساعة المغفرة

عندما فتحت هدوء عينيها، أوّل شخص رأته إلى جانبها كان عنيدًا، فابتسمت له.

- "هدوء، هل أنت بخير؟"
- "نعم، أفضل. شكرًا لله، لقد ساعدنا اليوم أيضًا."
- "إن كان قد ساعدني أنا الأنانيّ، ألن يساعدك أنت خاصّته؟"
- "كلّنا أولاده. الله لا يميّز بين البشر، إنّه يحبّنا جميعًا بالطّريقة عينها."
- "هدوء، الآن نحن وحدنا، وأريد أن أطلب إليك المغفرة عن السّوء الّذي ألحقته بك. كدت أقتلك، أريد أن تسامحيني. آسف، آسف، آسف..."

ابتسمت هدوء وقالت:

- "يكفي! لقد سمعت!"

لم يكد يتوقّف عن الكلام، حتّى رأى رؤوفًا وزهرة يدخلان إلى الغرفة، فينحني رؤوف فوق رأس أخته ويداعب شعرها قائلاً:

- "حسنًا، حتّى الرّيح يمكن أن تنجرح عندما تركض كثيرًا!"
- "إنّ هذا يحدث بسبب قلّة الانتباه أيضًا، يا أخي."

عندما سمع "عنيد" هذا، شحب لونه، وقال:

- " هدوء، هل أنت ريح مدينة الأنت؟"

وقبل أن تتمكّن هدوء من الإجابة، سارعت زهرة إلى القول:

- "هيّا هيّا! الآن تسمع بذلك يا عنيد؟ إنّ هدوء تركض بسرعة وانتباه. لكنّ هذه المرّة الأولى الّتي تُجرح فيها."
- "تبالغين يا زهرة،" أجابت هدوء.

فتكتّفت زهرة، وجلست منزعجة في الزّاوية، وقالت:

- "لا أقول أبدًا الأكاذيب."

فضحك أخواها من نبرة الصّوت الّتي اتّخذتها. في هذا الوقت، بدا عنيد مضطربًا بعض الشّيء، لكنّه بادر سريعًا إلى القول:

- "فلنضع الأمور في نصابها الصّحيح. أنا مَن تسبّب بجروح هدوء."
- "توّقف يا عنيد،" أجابت هدوء.
- "أرجوك، دعيني أكمل."

في تلك السّاعة دخل أهل هدوء، فاستغلّ عنيد الفرصة، وتابع كلامه قائلاً:

- "حسنًا، بما أنّكم كلّكم مجتمعون الآن، أريد أن أقول لكم إنّني أنا الملام على جروح هدوء. فبينما كنّا نركض، قرّرت أن أتجاوزها عند منعطف ضيّق، فحصل السّوء. أطلب المعذرة، أوّلاً إلى هدوء، وثانيًا إليكم."

لم يُظهر أيّ منهم أنّه غضب من عنيد:

- "إن كانت النّتيجة صالحة، فكلّ شيء صالح"، قالت السّيّدة صالحة.

حضن السّيّد صبور عنيدًا، وقال له:

- "اسمع يا ولدي، عندما يسمح الله بأن يحصل شيء سيّء، ففي النّهاية لا بدّ من أن يخرج شيء صالح منه. تذكّر قولي هذا دائمًا."

لم يستطع عنيد أن يحبس دموعه وهو يشعر بهذه المحبّة الّتي أظهروها له. فركضت زهرة، وقفزت إلى أحضانه وراحت تمسح الدّموع عن عينيه.

- "مسكين عنيد، لا تبكي، سترى أنّك ذات يوم ستربح."

فضمّها إلى حضنه، ولم يتمكّن من أن يشرح ما يشعر به للمرّة الأولى. إنّه شعور بالفرح وبالحزن في آن. لقد جلبت دموع الاعتذار إلى نفسه العذوبة والهدوء، ولم يعد يرغب في التكلّم، خوفًا من أن يخسر بالكلام ما قد وجده من شعور.

السّيّدة تمييز

بعد مرور بعض الوقت، بدأ عنيد بالتّفكير في عودته إلى **مدينة الأنا**. لكنّ قلبه لا يطاوعه على الرّحيل، في حين أنّه يريد مساعدة سكّان مدينته. وقد تخيّل نفسه، مرّات عديدة، مصلحًا كبيرًا لـ**مدينة الأنا**، ممّا سيتطلّب منه أن يعلّمهم دروسًا كثيرة حتّى يتمكّن من تغييرهم. وربّما سيحتاج إلى الذّهاب إلى بيوتهم لكي يعلّمهم كيف يطبّقون في حياتهم كلّ ما تعلّمه في مدينة الأنت. حتّى الآن لم يتّخذ القرار الأخير بعد، لأنّ فكرة بقائه وحده على طرف المدينة، ومجيء سكّان **مدينة الأنا** ليأخذوا نصائحه، فكرة جيّدة تعجبه. وربّما سيكون معه كلب أبيض صغير.

لقد ناقش أفكاره هذه مع أصدقائه، الّذين بدوا مستعدّين لكي يساعدوه، فاتّخذت هدوء ورؤوف قرارهما، ووعداه بأنّه، إن لزم الأمر، سيتبعانه حتّى **مدينة الأنا**. لكنّ أهلهما بدوا متردّدين قليلاً، ونصحهما السّيّد صبور بألا يتّخذا قرارات متسرّعة:

- "الحماسة الكبيرة يا أولادي، تؤدّي، في كثير من الأحيان، إلى اتّخاذ قرارات متسرّعة وخاطئة."

وشاءت المصادفة أن تأتي، في ذلك اليوم، السّيّدة تمييز والدة تواضع، لتزور السّيّدة صالحة. وكان عنيد قد تعرّف إليها مذ أتى إلى مدينة الأنت. واليوم، بما أنّها حضرت، فبإمكانه أن يعرض عليها المسألة الّتي تشغل باله، ويأخذ بنصيحتها:

- "ألا تعتقدين يا سيّدة تمييز، أنّه يجب عليّ أن أصلح سكّان مدينتي؟"
- "أتحبّهم؟"
- "طبعًا أحبّهم."
- "إنّ ما يفعله المرء بدافع المحبّة جيّد. لكن، يجب أن ننتبه، لأنّ مجرّد

الظّنّ أنّنا قادرون على إصلاح الآخرين، يعني أنّه ما زالت في داخلنا أنانيّة كبيرة."

- "لكن، يجب أن أغيّرهم."
- "رويدًا رويدًا يا ولدي!" أجابته السّيّدة **صالحة**، "إنّ كلمة "يجب" تتعب الإنسان كثيرًا. أمّا أنت فلا تحزن، ولا تجعل القلق يسيطر عليك، لأنّك تحتاج إلى التّمييز، لكي تجد الحلّ."
- "إنّها لفرصة مناسبة لكي أتخلّص من حيرتي!" يقول **عنيد** هذا متوّجهًا نحو السّيّدة **تمييز**، ثمّ يتابع: "عندما أسمع هذه الكلمة، أعتقد أنّهم يتحدّثون عنك. هلاّ قلت لي، من فضلك، ماذا يعني اسمك؟ تبدو هذه الكلمة أصعب من غيرها!"
- "هذا لأنّك لم تسمعها إلا في مدينتنا. قبل كلّ شيء، التّمييز هو أن نعرف أنفسنا جيّدًا. إن كان قلبنا نظيفًا، وتسكن عقلنا أفكار صالحة، حينئذ ينيرنا الله. وهكذا، نستطيع، في كلّ آن، أن نحكم على الأمور بشكل صحيح، وأن نفعل الصّواب."
- "لكن عندما تكون الأفكار الصّالحة عندنا، نحصل على التّواضع أيضًا."
- "هذان الاثنان يسيران معًا."
- "مثل الأمّ والابنة؟"
- "تمامًا هكذا"، قالت السّيّدة **تمييز** ضاحكة، ثمّ ضمتّه إليها قائلة: "لا تقلق إذًا على ما ستفعله في **مدينة الأنا**، فالله لن يتركك، وأنت تملك استعدادًا صالحًا، حافظ عليه، واتّكل على الله."

الفرح الإلهيّ

بعد تفكير عميق ومناقشات عديدة، قرّر **عنيد** أن يعود وحده إلى **مدينة الأنا**، فحزنت **هدوء** و**رؤوف** لأنّهما أرادا أن يذهبا معه. لكنّه عرف أنّ صديقيه سيواجهان صعوبات كثيرة، وهو لا يرغب في أن يقحمهما في مغامرات قد لا تكون سارّة. خصوصًا وأنّه قد جلب لأهل مدينتهما مقدارًا كبيرًا من الفوضى، على الرّغم من أنّه وحده بينهم، فكم بالأحرى مدينة بكاملها! هذا بالإضافة إلى أنّه يعرف سكّان وطنه جيّدًا، ويعرف تمامًا أنّ عائلته لن تستقبل صديقيه بترحاب، لأنّه من المؤكّد أنّ سكّان **مدينة الأنا** سيحتاجون إلى وقت طويل لكي يقرّروا أن يأتوا إلى **مدينة الأنت**.

لقد انتشر خبر رحيله بسرعة. وقبل الموعد بثلاثة أيّام، بدأ السكّان يأتون لوداعه. وقد كان باب البيت مفتوحا طوال النّهار. والسّيّدة **صالحة** حضّرت له مستلزمات الرّحلة كما تفعل الأمّ لابنها:

- "هذه المرّة، يا ولدي، آمل ألا تتعذّب كثيرًا على الطّريق، وأن تصل بسرعة."
- "لا تكوني متأكّدة يا سيّدة **صالحة**؛ فسكّان **مدينة الأنا** لا يتخلّصون بسهولة من عاداتهم السّيّئة. مَن يعرف ما هي الأفكار الّتي ستراودني على الطّريق، وكم من المشاكل سأواجه."
- "فكّر فقط في الله، وتكلّم معه، واطلب معونته، وسترى كيف ستصل من دون أن تشعر؟"
- "أتمنّى لك صحّة جيّدة يا سيّدة **صالحة**. كلّماتك تمنحني الشّجاعة."

لكن، ما أثّر في **عنيد** أكثر، كانت محبّة هؤلاء النّاس. فالصّغار والكبار جلبوا له الهدايا. وكان هو يحاول أن يشرح لهم أنّه من المستحيل أن يأخذ كلّ هذا

معه. لكن، كلّ واحد أراد أن يهديه شيئًا. هكذا، امتلأ البيت بأغراض كثيرة ومتنوّعة. وقد صنع سكّان **مدينة الأنت** كلّ هذه الأشياء بأنفسهم، وبمحبّة كبيرة وفرح لا يُحدّ.

حاول السّيّد **صبور** أن يخفّف من الحزن الّذي رآه على وجه **عنيد**، فقال له:

- "لا تحزن، يا ولدي، لأنّ فرحنا في **مدينة الأنت**، يتضاعف عندما يمتزج بالعطاء."
- "وأنا أفرح بالهدايا الّتي يجلبونها لي."
- "عندما تأخذ، يكون فرحك بشريًّا، بينما عندما تعطي، فيكون فرحك إلهيًّا، خصوصًا إذا كان عطاؤك هذا هو ممّا تحتاج إليه، وليس ممّا يفيض عنك. عندما تختبر ذلك، ستتذكّرني."
- "إنّ سكّان **مدينة الأنا** لا يعطون بسهولة. فهم يحبّون الاقتصاد."
- "الاقتصاد شيء، والبخل شيء آخر. الاقتصاد جيّد، لكنّه لا يعني عدم المساعدة. أمّا الإنسان البخيل، فهو بخيل حتّى في مشاعره."
- "لن أنسى أبدًا ما فعلتم من أمور صالحة لأجلي."
- "من الجيّد أن نتذكّر دائمًا الأشياء الجيّدة الّتي يفعلها الآخرون لنا. لكن، عندما نفعل نحن شيئًا جيّدًا، فلنحاول أن ننساه. إن قلنا "أنا فعلت هذا الصّلاح"، فمن دون أن نشعر ستكبر أنانا وتعذّبنا. أمّا بالنّسبة إلى هذه الأغراض، فنحن سوف نحرسها لك. وعندما تعود وتصنع بيتك الخاصّ، سترى أنّك ستحتاج إليها."
- "أتعتقد أنّني سأنجح في العودة؟"
- "كن أكيدًا. وأنا أومن بأنّك، بمعونة الله، ستعود إلينا. لكن، هذه المرّة لن تكون وحدك. سترى أنّه سيتبعك الكثيرون."
- "أسمع هذا ولا أصدّقه."
- "صدّق وسترى."

ساعة الوداع

لما بزغ الفجر، نهض **عنيد** بهدوء، وأخذ كيسه، ورحل. أراد سكّان **مدينة الأنت** أن يرافقوه إلى النّهر، لكنّه فضّل أن يرحل وحده. حتّى **هدوء** وعائلتها ودّعهم ليلة أمس. عرف أنّه، إن أتوا معه إلى النّهر، فسيكون الرّحيل صعبًا عليه.

عندما رحل عن **مدينة الأنا** وعن عائلته، لم يكن حزينًا، لأنّه كان يملك فرح المغامرة، ولا شيء خلفه كان يمسكه. لكنّه الآن يشعر بالحزن والفرح معًا، ففي داخله لا يريد الرّحيل، إذ قد أمضى وقتًا رائعًا هناك. لكنّه كان يفكّر في سكّان وطنه. لم يكلّمهم أحد عن **مدينة الأنت**. وربّما، إن سمعوا شيئًا، حتّى ولو من باب الفضول، فسيرغبون في زيارتها، تمامًا كما حصل معه.

قبل أن يصعد التلّة باتجاه النّهر، استدار، للمرّة الأخيرة، وحضن بنظرته كلّ **مدينة الأنت**. لم يستطع أن يحبس دموعه الّتي راح يذرفها، كما فعلت **هدوء** وأخوها، اللّذان كانا يشاهدانه من بعيد، وهما يختبئان خلف إحدى الأشجار.

– "إلى اللّقاء يا **مدينة الأنت**"، تمتم **عنيد**، "إن شاء الله، سأعود".

– "إلى اللّقاء يا عنيد، سننتظرك"، تمنّت **هدوء** و**رؤوف** في داخلهما.

نزل بسرعة صوب النّهر، وبدأ يقفز من صخرة إلى أخرى، إلى أن وجد القناة الضّيّقة الّتي ستوصله إلى الجهة المقابلة. لكن، ما إن وصل، حتى تفاجأ بـ**تواضع** الّتي كانت تجلس أمام المدخل.

– "صباح الخير!"

– "صباح الخير! اعتقدت أنّنا ودّعنا بعضنا مساء البارحة، كانت المرّة الأخيرة الّتي شاهدتك فيها."

فمدّت له يدها وساعدته ليقفز إلى الجانب الآخر.

- "فكّرت في أن أودّعك حيث التقيتك للمرّة الأولى."

ثمّ تقدّما صوب الفتحة الصّغيرة للقناة، وأمسك **عنيد** بيد **تواضع**:

- "أمسكيني جيّدًا، فأنت ستقودينني، لأنّني لن أنجح وحدي."

اجتازا القناة الصّغيرة، وخرجا إلى الجهة المقابلة:

- "هذه الكلمات هي عينها الّتي قلتها عندما دخلت إلى **مدينة الأنت**."

أراد **عنيد** أن يداعبها فقال:

- "لن أكون أحمقَ لكي أجد نفسي ثانية في النّهر."

- "أه، هكذا إذًا! لقد سخرت منّي! الآن سترى!"

حاولت أن ترميه في الماء، فحاول أن يقاوم قائلاً:

- "أشفقي عليّ، أشفقي عليّ، أخطأت!"

راحا يلعبان ويضحكان، فهذه لعبتهما الأخيرة على حافّة النّهر. تظاهرت **تواضع** بأنّها تمشي، وفجأةً وقعت في النّهر.

- "لحسن الحظ أنّك أنت مَن وقع!" صرخ لها، "فبيتك قريب، أمّا أنا فالطّريق طويلة أمامي."

- اعلم أنّني سأنتظرك هنا، وعندما تعود سأبلّلك ..."

ضحك **عنيد** وقال:

- "طبعًا سأعود، ولكن ليس لكي تبلّليني، إنّما لتقولي لي إن كان الحمّام الصّباحيّ يجعل الصّحّة جيّدة!"

راحت **تواضع** ترشّه بالماء من بعد، فيما تابع هو طريقه:

- "رحلة موفقة!"

- "إلى اللّقاء!"

مَن يكُنِ اللهُ معه لا يَخَفْ شيئًا

تبدو رحلة العودة أسهل. وكان فرح **عنيد** بالطّبيعة، هذه المرّة، أكبر، فقد سقطت القشور عن عينيه، وظهرت الأشياء أمامه أكثر لمعانًا وجمالاً. تذكّر أصدقاءه في **مدينة الأنت**، وتذكّر الله صانع الكون، وقد أصبح الآن يمجّده.

بدأت الأفكار السّيّئة تلاحقه على الرّغم من إرادته: "كيف سيستقبلني سكّان **مدينة الأنا**؟ كيف سأقابل **عجرفة**؟ انقبض قلبه، وشعر بالقلق، وتعقّدت الأمور. حينئذ لجأ مجدّدًا إلى الله، وتكلّم معه كأنّه قريب منه، وطلب معونته، فشعر بالهدوء وبالقدرة على مواجهة العثرات.

نزل التّلال، وعبر الهضاب، واقتربت الشّمس من غروبها. فراح يجول بنظره باحثًا عن كوخ الشّيخ الّذي أرشده إلى **مدينة الأنت**. أراد أن يجده ولم يهتمّ بالمكان الّذي سيمضي ليلته فيه، ولا بالطّعام الّذي سيأكله، فكيسه مليء. ما يريده فقط هو أن يجد الشّيخ ويحدّثه. لذا راح يطلب: "أظهره لي يا إلهي، أظهره!" وما كاد ينهي عبارته هذه، حتّى رأى، من بعيد، دخانًا، ففرح، وبدأ يركض نحوه:

- "أيّها الشّيخ! أيّها الشّيخ!"
- "أهلاً وسهلاً، أهلاً وسهلاً!" رحّب الشّيخ به واحتضنه، ثمّ تابع قوله:
- "أرى أنّك نجحت جيّدًا. كنت أفكّر فيك كثيرًا وأقول: لكي يتأخّر، فهذا يعني أنّه وجد **مدينة الأنت**، وهو يمضي وقتًا جيّدًا."
- "واجهت الصّعوبات قليلاً، لأنّه، كما تعلم، مع تلك الــ"أنا" الّتي قلت لي إنّه يجب أن أصغّرها، لم تكن البداية سهلة. والآن أيضًا، يجب أن أنتبه دائمًا لذاتي."
- "هذا أفضل. لأنّه في أغلب الأحيان، بدل أن ننتبه لذواتنا، ننتبه إلى ما

يفعل الآخرون."

- "لكنَّ الأهمّ، أيّها الشّيخ، هو أمر آخر، لقد وجدت الإله الحقيقيّ. ومذ تعرّفت إليه، تبدّلت حياتي. لا أستطيع أن أصف ذلك بكلّمات. "
- لا نحتاج إلى الكلمات يا ولدي. في الحقيقة، الإنسان يولد من اللّحظة الّتي يتعرّف فيها إلى الله. هؤلاء الّذين لا يؤمنون به هم الأتعس في العالم."
- "وهؤلاء الّذين لم يسمعوا به قطّ؟"
- "سيسمعون في وقت ما. سيأتي مَن يبّشرهم به."
- "أفكّر في سكّان وطني. كيف سأذهب، أنا الولد الصّغير، لأتكلّم ضدّ إلهتهم **عجرفة**؟ إنّ القلق يأكلني."
- "لا تقلق. الله سينيرك ويرشدك إلى فعل الصّواب."
- "هذا ما سأفعله، سأتّكل عليه في كلّ شيء."
- "انتبه، هنا عليك التّمييز."
- "ها هي ثانية السّيّدة **تمييز**. إنّها تحشر أنفها في كلّ مكان."

ضحك الشّيخ، وقال:

- "حسنًا تفعل بحشر أنفها في كلّ مكان. فنحن أيضًا علينا أن نفكّر في ما سنفعله، ويجب ألّا ننتظر أن يأتينا كلّ شيء من الله. علينا، مثلاً، أن نتخلّى عن "أنانا"، ونطلب المساعدة من الله، وعندما نشعر بأنّنا عاجزون عن فعل شيء ما بشريًّا، حينئذٍ ننتظر تدخّل الله، ولكن بعد أن نطلب منه مساعدتنا. سأعطيك مثلاً لكي تفهم: إذا اشتعلت النّار حول بيتك، فأنت تصرخ: "يا إلهي، ساعدني!" لكنّك تركض أيضًا وتجلب الماء لكي تطفئها، وتنادي الجيران أيضًا لكي يساعدوك. وعندما يعجز البشر عن إطفائها، ويرى الله الإيمان والثّقة اللّذين أبديتهما نحوه، عندها يرسل مطرًا غزيرًا ليطفئ النّار به. هل فهمت؟"
- "فهمت أيّها الشّيخ. بما أنّني أريد أن أساعد سكّان وطني، سأفعل كلّ ما أستطيع، وما لا أستطيعه سأتركه لله. ستضطهدني **عجرفة** بوحشيّة طبعًا، وربّما سترميني في السّجن ولن أخرج منه أبدًا، إنّها تملك قوّة كبيرة."
- "لا تَخَفْ أحدًا. فحتّى الأقوى بين النّاس، إذا أصابه مكروه صغير، تراه

ينهار أرضًا ويدوسه الجميع، وحتّى النّمل."

- "لا أستطيع أن أتخيّل **عجرفة** في هذا الوضع. فهي تنتبه حتّى لكيفيّة جلوسها حتّى لا يتجعّد فستانها. فكيف إن وقعت أرضًا!"

- "تعال الآن لتأكل وترتاح، لا تدع الأفكار السّيّئة تحزنك. عندما تواجه المشكلة مع ملكتك، حينئذ ستحاول حلّها."

جلب الشّيخ الأطعمة القليلة الّتي عنده، وأخرج **عنيد**، هو أيضًا، ما وضعت له السّيّدة **صالحة** من طعام في كيسه.

- "أتعرف يا ولدي، الأمر السيّئ في تفكيرنا، نحن البشر، هو أنّه، مرّات عدّة، نقلق ونحزن بسبب توقّعات قد لا تحصل أبدًا."

كان **عنيد** يستمع إلى الشّيخ بانتباه شديد.

- "كُلْ أنت وأنا سأخبرك قصّة:

منذ زمن، كان هناك عرس في أحد البيوت، وكان النّاس يأكلّون فرحين. وعندما نفذ النّبيذ، نادى ربّ البيت ابنته الصّغرى - أخت العروس - وأرسلها إلى القبو لتجلب النّبيذ. تأخّرت الفتاة، فقلق الرّجل، ربّما تعرّضت ابنته لحادث. نهض وذهب إلى القبو فرآها تبكي، فاحتضنها.

- "ما بك يا بنيّتي؟ هل أصابك مكروه؟"

- "لا يا أبي."

- "إذًا ما بكِ؟"

فأشارت إلى أداة ثقيلة، كان والدها قد علّقها بخشبة في السّقف.

- "أترى هذا؟"

- "أراه"، أجاب الوالد.

- "أفكّر كيف ستزوّجني عندما أكبر، أنا أيضًا، كما تزوّج اليوم أختي. ومن ثمّ سأنشئ عائلة وأنجب أولادًا، أليس كذلك؟"

- "نعم، هذا ما يحدث عادة."

- "عندما يكبر ابني، سينزل هو أيضًا إلى هنا للقيام بأعمال مختلفة."

- "إذًا؟"

أجابت الفتاة باكية:

- "أخاف يا أبي أن تقع هذه الأداة الثّقيلة فوقه وتقتله!"

وغرقت من جديد في البكاء.

راح **عنيد** يضحك عند سماعه هذه القصّة.

- "أفهمت؟ حتّى قبل أن تكبر هذه الفتاة وتتزوّج، كانت ترى ولدها مقتولاً."
- "نحن الأولاد أيّها الشّيخ، عندنا الكثير من التخيّلات والمخاوف المخبّأة."
- "ونحن الكبار أيضًا، مع تخيّلات طفوليّة كهذه، نجعل حياتنا سوداء، ونصبح جبناء. ومن المؤكّد أنّ الله لا يرغب في رؤيتنا هكذا. يجب أن نتحلّى بشجاعة وبطولة، وألّا نخاف من ظلّنا. هذا لا يعني أنّ الحياة ليست مليئة بالصّعوبات، لكن يجب أن نناضل بمعونة الله، وألّا نجلس ونندب حظّنا."
- أنا، أيّها الشّيخ، تنقصني الشّجاعة. لهذا، أخاف أن أعود إلى **مدينة الأنا**."
- "ما الّذي تقوله الآن! هيّا، لو كانت الشّجاعة تنقصك، لما انطلقت إلى مدينة جديدة. تعال، انهض، ما ينقصك الآن هو النّوم. فلنذهب لترتاح، غدًا ستكون مسيرتك طويلة."

راح عنيد يضحك عند سماعه هذه القصّة.

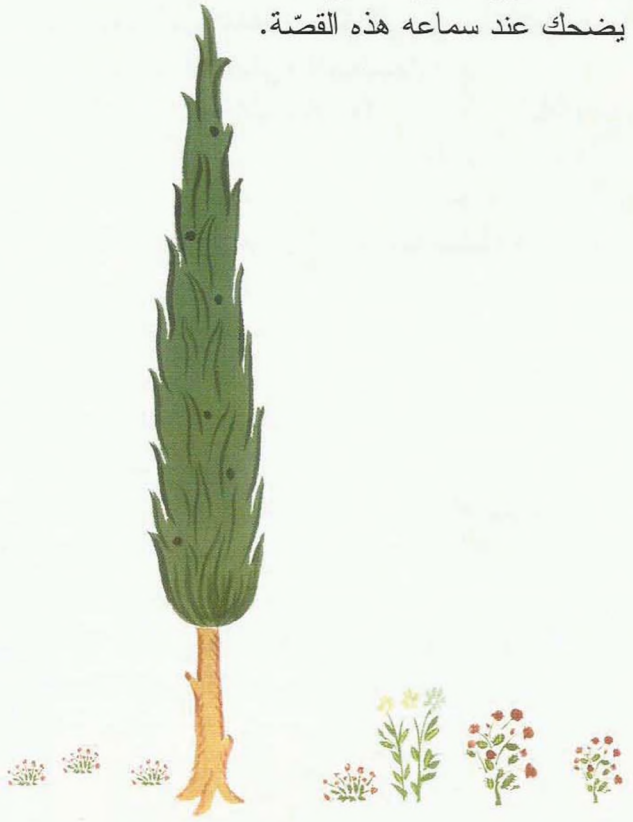

العودة إلى «مدينة الأنا»

بكلمات الشّيخ التّشجيعيّة، ومعونة الله، لم يفهم **عنيد** متى وصل إلى **مدينة الأنا**. وحالما عبر الباب الصّغير، بدأ قلبه يخفق خفقانًا شديدًا؛ لقد غاب لمدّة سنة تقريبًا. وأوّل إنسان صادفه، ارتعب وظنّ أنّه يرى شبحًا، وبدأ يركض صارخًا:

– "يا أهل المدينة، اخرجوا لتروا، اخرجوا! **عنيد** حيّ! عاد إلى **مدينة الأنا**."

– "**عنيد** حيّ؟ عاد **عنيد**؟"

انتشر الخبر كالنّار في الهشيم. فتحت النّساء النوافذ لتسمع الأخبار، وخرج الرّجال إلى الأبواب ليروه، وتجمّع الأولاد في الشّوارع ليقابلوه. وحتّى وصل إلى بيته، كان كلّ أهالي **مدينة الأنا** قد اصطفّوا أمامه. سارع إخوته وأصدقاؤهم ورفعوه على أيديهم. وبصعوبة نزل **عنيد** ليعانق أهله الّذين استقبلوه بدموع الفرح والعناق والتّرحيب. بقيت أبواب البيت مشرّعة حتّى المساء، والنّاس يدخلون ويخرجون، يريدون أن يروه ويطّلعوا على أخباره.

– "اتركوه يرتاح أوّلًا،" قالت والدته.

إلّا أنّ السّيّد **متفاخرًا** اتّخذ قراره.

– "على **عنيد** أن يطلع الملكة أوّلًا على أخباره، ثمّ النّاس."

وقبل غروب الشّمس، وصل حارس الملكة إلى البيت، وسط دهشة الجميع. ووقف متفاخرًا في أعلى مكان من الباحة، وفتح الفرمان الّذي كان يمسكه وقرأه:

– "اسمعوا، اسمعوا! بحسب أمر ملكتنا المديدة الأيّام، منذ يوم غد يبدأ احتفال لثلاثة أيّام في **مدينة الأنا** وترفع أعلامها. الكلّية القدرة الإلهة **عجرفة** ستعطينا شرف خروجها من قصرها لنراها جميعنا. غدًا، بعد الظّهر، ستستقبل **عنيدًا** في مقابلة علنيّة في الحيّ الكبير. سيتبع ذلك

وليمة. فليحضر الجميع."

- "شرف لـــ **عنيد**!" تمتم الجميع.

كاد أهله يطيرون من الفرح. أمّا السّيّدة **مجد باطل** فطلبت من النّاس أن ينسحبوا رويدًا رويدًا. فعليهم أن يبدأوا بالتّحضير لاجتماع الغد. وركضت أخته لتختار الفستان الّذي سترتديه.

- "حسنًا، يا **عنيد**، لقد نجحت، بقصد أو بغير قصد، في أن تصير بطلاً،" قال أخوه **متكبّر**. الآن عندما أفكّر جيّدًا، أجد أنّه كان عليّ مرافقتك إلى **مدينة الأنت**. لكن من أين لي أن تعطيني **عجرفة** هذا الشّرف. يبد و لي أنّك لست فرحًا إلي هذه الدّرجة!"

- "أعتقد أنّه لا داع لكل هذه الفوضى. كنت سأذهب غدًا إلى القصر لأخبرها بكلّ شيء."

- "ماذا تقول؟ كلّ الأولاد يحسدونك. أقدّم أيّ شيء لأكون مكانك اليوم!"

- "وأنا أيضًا."

- "ربّما تغيّرت قليلاً؟ فيما مضى كنت أنت أيضًا تجنّ بتكريم كهذا. ربّما لست بحالة جيّدة؟"

- "لم أكن في حياتي قطّ بحال أفضل."

- "فكّر قليلاً في أنّك غدًا ستكرَّم على أنّك "المكتشف الأوّل" لـــ**مدينة الأنت**. ستمنحك إلهتنا وملكتنا بنفسها الوسام. تخيّل الفرح الّذي ستمنحه لها ولنا، عندما سنسمع بإنجازاتك!"

لكنّ **عنيدًا** الّذي حرّك رأسه مفكّرًا، يبدو خائفًا من هذه اللّحظة بالتّحديد: إنّها ساعة الحقيقة الكبرى.

- "اسمعوا أوّلاً ماذا سأقول، ومن ثَمَّ سترون ما سيحصل!"

الوسام الذهبي

وصلت اللّحظة المنتظرة. رُفعت أعلام **مدينة الأنا**. تجمّع كلّ النّاس في الحيّ الكبير. وحالما جلست الملكة على عرشها الذّهبي، اقترب **عنيد** منها. وكان أهله يمشون بقربه فخورين به، وإخوته خلفه تمامًا. كلّ العائلة ستتقاسم مجده. النّاس يصفّقون ويهلّلون ويهتفون له.

وصل **عنيد** قرب العرش، وحيّا الملكة بانحناءة بسيطة. أمّا عائلته فانحنت بانحناءتين طويلتين، كما هو القانون: واحدة لقوّتها، وأخرى لجمالها.

– "انحناءة أخرى، واحدة بعد أكثر طولاً"، همس له والده معتقدًا أنّه نسي ما ينصّ عليه القانون.

أمّا هو فتظاهر بأنّه لم يسمع. فتوقّفت الهتافات، وانتبه الجميع إلى تحيّته، وانتظروا اعتراض الملكة. فيما **عجرفة**، على الرّغم من انزعاجها، لم تعطه أيّة ملاحظة: أوّلاً، لكي تُظهر لتابعيها مدى صبرها على الأولاد؛ وثانيًا، كي لا تفسد هذا العيد الّذي كلّفها الكثير من الوقت والمال.

أشارت إليه بيدها ليقترب، وإلى جانبها أحد الملازمين لبلاطها يمسك وسادة من مخمل، عليها الوسام الذّهبيّ. صمت الجميع، لأنّ الملكة ستتكلّم. ولو كان بإمكانهم حبس أنفاسهم، كي لا يحدثوا ضجّة، لما تأخّروا عن فعل ذلك.

نهضت **عجرفة**، وأخذت الوسام ومررّته حول عنق **عنيد**.

– " **عنيد** ابن **متفاخر**، بالشّجاعة الّتي أظهرتها لكي تكتشف حضارة غير معروفة، شرّفت **مدينة الأنا**. منذ اليوم لديك أنت أيضًا الشّرف لتتقلّد الوسام الذّهبيّ لـــ"الأنا" الكبيرة."

– "والآن تستطيع أن تتكلّم، نحن نسمعك."

لحظة الحقيقة الكبرى

هذه هي اللّحظة الّتي كان **عنيد** يخافها منذ بعض الوقت. لم ينم منذ عدّة ليالٍ وهو يفكّر في ما سيقوله للملكة. لكنّه لم يتخيّل قطّ أنّه سيقول المتوجّب عليه أمام كلّ النّاس. للحظة، أغمض عينيه طالبًا من الله المساعدة.

- "نسمعك يا **عنيد**"، قالت **عجرفة** ثانية.
- "تكلّم يا بنيّ،" تمتمت والدته.
- "يا ملكتي المحترمة، ويا سكّان بلدي المحبوبين، لكي أشرّف، أوّلاً المدينة الّتي كبرت فيها، وثانيًا عائلتي، يجب أن أقول لكم الحقيقة. لا أعرف متى تستطيع قوّة "الأنا" العظيمة المساعدة، إنّما لكي يجد المرء **مدينة الأنت**، وقبل كلّ شيء لكي يدخل إليها، عليه أن يجعل "أناه" لا شيء وليس فقط أن يصغّرها."

انتصبت **عجرفة** بغضب وقالت:

- "ما هذا الجنون الّذي تنطق به يا **عنيد**؟"
- "أنطق بالحقيقة فقط."
- "لقد دست على أناك لكي تجد **مدينة الأنت**؟"
- "نعم."
- "كان من الأفضل لك أن تعود بدلاً من أن تهين أشرف شيء في وطنك."
- "أردت أن أصل إلى النّهاية في مهمّتي."

بدأ النّاس يتهامسون. أمّا الملكة فحاولت بوقوفها أن تسيطر على غضبها.

- "أفكّرت وحدك في هذه الأشياء أم نصحك بها أحد آخر؟"
- "كنت كلّما تقدّمت واضعًا أمامي "الأنا"، كانت الطّريق تصعب، ويتحوّل المسير شقاءً وتعبًا من دون الوصول إلى نتيجة. حينئذ قابلت أحد الشّيوخ،

فقال لي إنّ عليّ أن أصغّر أناي، وأن أفكّر في أفكار حسنة، لكي أتمكّن من دخول **مدينة الأنت**."

- "**مدينة الأنت**، وفضّلت نصائح شيخ عجوز على نصائحي؟"
- "أردت أن أختبر نصائحه بما أنّ نصائحك لم تحقّق لي أيّة نتيجة."

فما كان من الحشد الّذي كان يهتف "يعيش"، إلّا أن راح يصرخ في وجهه: "حقير،حقير! أخزيت **مدينة الأنا**، أخزيت إلهتنا."

هجمت **عجرفة** وقد احمّر وجهها غضبًا، وسحبت الوسام الذّهبيّ عن صدره:

- "أنت غير أهل لتتقلّد هذا الوسام!"
- "غير مستحقّ، غير مستحقّ!" صرخ الجميع معًا. وقد فقدت أمّه وعيها، وبجهد أمسك إخوته أباهم الّذي كان مستعدًا ليصبّ جام غضبه عليه. لم يسبق لفوضى كهذه أن عمّت **مدينة الأنا**. وعلى الرّغم من كلّ هذا، بدا **عنيد** هادئًا كلّ الهدوء. وقد شعر بارتياح كبير بعد أن نزعت الملكة الوسام عن صدره.

أقبل حارسان من الجهة الّتي يقف فيها **عنيد** ، وبأمر من الملكة، كبّلا يديه خلف ظهره، وبدفعتين قويّتين ألقياه أرضًا عند قدميها. رفع رأسه ونظر إليها. كم تفيض عيناها شرًّا! تذكّر **عنيد** **تواضع** الجميلة وتنّهد.

- "ستتنّهد كثيرًا بعد. سترى ماذا يعني الخوف."
- "رأيته في عينيك."
- " **عجرفة** لا تخاف شيئًا."
- "تخافين الحقيقة. لهذا لم تدعيني أكمل."
- "اغرب عن وجهي أيّها الولد الوسخ."

رفسته محاولة تهدئة نفسها، وقالت للحارس:

- "خذه من أمامي وارمه في السّجن."

«المتفنّي» هو الحلّ الوحيد

هكذا انتهت الحفلة الكبرى الّتي كانت مقامة على شرف **عنيد** القابع منذ ثلاثة أيّام، في السّجن، لا يرى أحدًا، ولا يتكلّم مع أحد. يتركون له قليلاً من الخبز والماء على الباب. فيما مضى، كان لمجرّد مرور هذه المشاهد في مخيّلته يرتعش. "إنّ الإنسان يعتاد على كلّ شيء،" فكّر **عنيد**. لكنّ الله لا يتركه حتّى في بؤسه. فيعطيه قوّة، ويتكلّم معه فيبدّد حزنه. يبكي **عنيد** أمامه فيخفّف من ألمه.

سمع **عنيد** الباب يُفتح. بدأ قلبه يخفق بقوّة. إنّهما حارسا الملكة اللّذان يشيران إليه كي يتبعهما. تقدّما في ممرّ معتم طويل، ومن ثَمَّ صعدا درجات كثيرة، فالسّجن كان في قبو القصر. وصلا إلى فوق، وهما يقودان **عنيدًا** إلى الملكة حيث كان أهله يقفون إلى جانبها. بدت والدته شاحبة اللّون، تحاول جاهدة أن تمسك نفسها كي لا تقع أرضًا. لم تكن السّيّدة **مجد باطل** كما كانت من قبل، فألم ولدها خنق حتّى صوتها المتكبّر.

- "يا بنيّ، إلهتنا **عجرفة** أظهرت رأفتها تجاهك، اطلب إليها المغفرة، وتراجع عمّا قلته، وهي تسمح لك بالعودة حالاً إلى البيت."
- "يا ملكتي المحترمة، أريد أن أستغفرك على الفوضى الّتي سبّبتها لك. إنّما لا أستطيع إنكار الحقيقة. لو قلت لك الأكاذيب منذ البداية، لأضحيت الآن بطل **مدينة الأنا** . لكنّني فضّلت الحقيقة لكي أشرّفك أنت أوّلاً، وأشرّف عائلتي الّتي ربّتني ثانيًا، ولكي أكون صادقًا، على الأقل، تجاه الله؛ فهو يعرف قلوبنا جميعًا."

أمّا الملكة فانتصبت غاضبة، هي الّتي كانت جاهزة لإظهار لطفها:

- "على أيّ إله تتكلّم يا **عنيد** ؟"
- "على الإله الحقيقيّ الوحيد، خالق الحياة."

- "أين يسكن هذا الإله؟ ربّما في **مدينة الأنت**؟"
- "إنّه حاضر في كلّ مكان، حتّى في هذه اللّحظة إنّه هنا ويسمعنا."

وبغضب عارم، توجهت **عجرفة** نحو أهل **عنيد**:

- "هل ترون إلهًا ما هنا فقد أكون عمياء ولا أرى؟"
- "كلا،" تمتموا خائفين.
- "الإله الحقيقيّ غير منظور"، قال **عنيد**، "لا نستطيع أن نراه، إنّما نستطيع أن نكلّمه، وهو يسمعنا."
- "وأنا ماذا أفعل هنا؟ ما هو موقعي؟ هل أستطيع أن أعلم؟"
- "أنت، يا ملكتي، إحدى خلائقه، وقد اختارك لكي تحكمي هذه البلاد."
- "أنت يا ابني، لست مجنونًا فقط، بل خطر أيضًا"، ثم استدارت نحو أهله قائلة لهم: "أسمعتم ما قاله؟ وأنتم أتيتم إلى هنا لكي تتوّسلوني لأطلق سراحه. قلتم إنّ كلّ ما فعله سببه طيش الشّباب. ولكنّه ليس نادمًا، بل ومجدّف أيضًا. إن أطلقت سراحه، فهو قادر على إثارة كلّ **مدينة الأنا**، وعلى دفع الجميع إلى البحث عن الإله الخياليّ."

وراحت تمشي ثائرة. فهي للمرّة الأولى في حياتها لا تعرف كيف تتّخذ القرار. أن تطلق سراحه أمر مستحيل، فقد بدأت تشعر بأنّ عرشها وقدرتها الكلّيّة يهتزّان. أن تتخلّص منه بطريقة ما ليتّخذ منه الجميع عبرة، أمر مستحيل أيضًا. فهو ما زال ولدًا صغيرًا، ولا تعرف ماذا ستكون ردّة فعل تابعيها. كانت تمشي مهتاجة محمّرة الوجه تطرق الأرض بكعبيها العاليين.

- "أعتقد أنّ هناك حلاً واحدًا فقط، هو المنفى."

تلقّى **عنيد** القرار بدون اضطراب.

- "ماذا تريد أن تقول جلالتك؟" سألت والدته مرتجفةً.
- "ما سمعتموه! ينبغي على ابنكم أن يغادر **مدينة الأنا** غدًا ظهرًا على أبعد تقدير."
- "سننفّذ كلّ ما تقررينه"، قال السّيّد **متفاخر**. "ابقي هادئة."

– "سأكون هادئة حالما يصير **عنيد** خارج أسوار **مدينة الأنا**. إن أعاد النّظر وتيقّن من خطئه ورجع عاقلاً، فحينئذ سنرى ما الّذي سيحدث."

منحت كلماتها الأخيرة الأمل لأهله، فرحلوا وهم يشكرونها وينحنون أمامها، بعد أن سحبوا **عنيدًا** من يده.

بيته الجديد

هكذا، وقبل أن يتسنّى الوقت لـ **عنيد** كي يجلس قليلاً في بيته، كان يتحضّر للرّحيل مجدّدًا. وأوّل ما خطر في باله هو أن يعود إلى **مدينة الأنت**. لكنّه من جهة ثانية، كان يشعر بالأسى على أهله الّذين أحزنهم كثيرًا: أمّه وإخوته يبكون باستمرار، أبوه غاضب منه كثيرًا، إلى حدّ أنّه، وإن كان يأسف له، إلا أنّه لا يُظهر ذلك.

- "توّقفي يا أمّي عن البكاء، سترين أنّ الله لن يتركني، سيقوم بعمل ما."
- "إن كان إلهك، كما تقول، حاضرًا في كلّ مكان، أتمنّى أن يسمعني. وحيثما تذهب أريد أن أتمكّن من رؤيتك، لقد غبت لمدّة سنة. ولكن كان عندي أمل بأنّك ستعود منتصرًا. لكنّني الآن لم أعد أريد شيئًا، لا أمجاد ولا جوائز، الشّيء الوحيد الّذي أطلبه إلى الله هو أن أتمكّن من رؤيتك."
- "أرجوك توّقفي عن البكاء، واذهبي أنت والجميع للنّوم."
- "هل سمع ما قلته له؟"
- "سمعك يا أمّي، سمعك! إنّما اصبري لأنّه لا يستجيب حالاً. أومن بأنّه حتّى الصّباح سيجد لنا حلاً ما."
- "نريد نحن أيضًا أن نراك"، قالت أخته، "هل سيسمعنا نحن أيضًا؟"
- "يسمعنا جميعًا، ويرى كلّ شيء. أومن به كثيرًا حتّى إنّني سأكون أوّل من سيخلد إلى النّوم."

بزغ الفجر، وكان **عنيد** مستندًا إلى الحائط، ونظره يحتضن كلّ المدينة الّتي ينبغي أن يغادرها بعد قليل. مذ عرف **مدينة الأنت**، لم يعد هناك شيء يجعله متعلّقًا بـ**مدينة الأنا**. وجّه نظره إلى الجبل المقابل لكي يستمتع بشروق الشّمس. وما إن بسطت هذه الأخيرة أشعّتها الأولى وأنارت كلّ المكان، حتّى تذكّر بأيّ فرح كان ينزل الجبل قبل أيّام قليلة متوجّهًا نحو **مدينة الأنا**. حاول

أن يرى المكان من بعيد. تذكّر أنّه في سفح الجبل، فتوقّف ليشرب الماء، وتقدّم قليلاً ليجد النّبع، ورأى مغارة كبيرة. وما كاد ينحني ليرى ما في داخلها، حتّى خرج منها عصفوران كبيران أجفلاه بطيرانهما المفاجئ، فسقط أرضًا.

بينما كان يراقب المكان من فوق، لم تظهر المغارة أمامه، لكنّه قدّر مكانها. فراح يركض فرحًا نحو بيته، ودخله لاهثًا، ليجد الجميع حزينًا.

- "ماذا أصابكم؟"
- "اعتقدنا أنّك رحلت من دون توديعنا."
- "لا. قمت بنزهة في الأسوار، وأعطاني الله الحلّ الّذي كنّا نبحث عنه."
- "أيّ حلّ؟"
- "هناك، في آخر الجبل مغارة، اكتشفتها عندما كنت آتيًا قبل أيّام قليلة. في الوقت الحاضر سأذهب لأبقى هناك، ليست بعيدة جدًّا. ومتى شئتم تستطيعون أن تأتوا لنتحدّث، فالملكة وضعت عقابًا لي أنا وليس لكم."
- "أعتقد أنّه الحلّ الأفضل كبداية،" قال والده. "لاحقًا، سنرى ماذا سنفعل، آمل أن تُظهر تصرّفًا حسنًا لكي تغيّر الملكة رأيها عاجلاً."

كان **متكبّر** خائفًا، فقد تغضب **عجرفة** إذا علمت أنّ **عنيدًا** ما زال قريبًا من المدينة.

- "لكنّها شدّدت على أن يسكن خارج أسوار **مدينة الأنا**، لم تحدّد لنا المكان"، قالت **محبّة المجد**."
- إذًا، نستطيع أن نذهب كلّنا، ونساعد **عنيدًا** ليرتّب أوضاعه،" قالت والدته فرحة.

لم يوافق السّيّد **متفاخر**، فهو يؤمن بأنّ قصاصه يجب أن يكون عبرة لمن لا يعتبر. فهم قد أهينوا ما يكفي بسببه. فطلب **عنيد** منه المغفرة من أجل الحزن الّذي سبّبه له، لكنّه لم يتأثّر.

- "إن أردتم، تستطيعون الذّهاب، أمّا أنا فلا"، قال والده.

وهكذا، انطلق **عنيد** مع أمّه وإخوته إلى بيته الجديد.

حتّى بعد الظّهر، كانت المغارة قد تغيّرت معالمها؛ فالنّساء نظّفن داخلها، والصّبيان قطعوا كلّ العشب البرّيّ والأشواك خارجها، وصنعوا بابًا مؤقتًا ذا

فتحة كبيرة في أعلاه كي يتمكّن هذان الغرابان الكبيران من الدّخول إليها والخروج منها. كانا قد صنعا عشّهما في سقف المغارة، و**عنيد** لم يكن يريد هدمه. أمّا أمّه فقد تذمّرت في البداية، لكنّها عادت ورضخت لطلبه أمام إصراره.

- "أنا أتيت إلى بيتهما، وليس العكس!" قال **عنيد**، "أطلبت إليهما الإذن؟ ألا يكفي أنّني أفسدت هدوءهما؟ ولكن سيكون لديهما رفقة جيّدة."
- "وماذا ستتحدّث معهما؟" سألت أخته.
- "سأفصح لهما عن كلّ أسراري وسأنام مطمئنًّا لأنّ أحدًا لن يعلم بها."
- "أستغرب كيف تجد الشّهيّة للنّكات! يظهر أنّك لم تعِ بعد أنّك ستبقى وحيدًا بعد قليل!"
- "جيّد أنك ذكّرتني بذلك، إنّه وقت الرّحيل، يجب أن تعودوا قبل حلول اللّيل."
- "تستعجل بطردنا؟!" قال **متكبّر**، "أنا أقترح أن أبقى أيّامًا قليلة معك إلى أن تعتاد على الأمر."
- "لا حاجة إلى ذلك، الأفضل أن ترافق الوالدة و**محبّة المجد** إلى البيت. كما أنّني لست بعيدًا، وحينما تشاء ستأتي وتراني."
- "لن يهدأ لي بال، يا ولدي، ما دمت أفكّر في أنّك في هذه الصّحراء"، قالت والدته.
- "اسمعوني الآن! لن نكون ناكري الجميل! ما طلبناه من الله البارحة أن تتمكّنوا من رؤيتي، هل توقّعتم حلاً أفضل من هذا؟!"
- "كلامك، يا ولدي، يجعلني أعي السّرعة الّتي استجاب بها الله لطلبتنا، وعوضًا من أن نشكره، دائمًا نتذمّر! إن طلبت منه، مجدّدًا، أن ينتبه إليك كي لا يصيبك أيّ سوء، فهل سيسمعني أيضًا؟"
- "دائمًا يسمعنا، يكفي أن نتذكّره ونتحدّث معه، وحينئذ سنرى كيف ستحدث الأمور بحيث لن تصدّقها عيوننا."
- "فلنبق كلّنا هنا اللّيلة، لكي تخبرنا المزيد"، قالت **محبّة المجد**. "حصلت الأمور بسرعة إلى درجة أنّك لم تجد الوقت لتحدّثنا عن **مدينة الأنت**."
- "إن لم نعد اللّيلة، سيقلق الوالد"، قال **متكبّر**، "الأفضل أن نرحل، وغدًا سنبدأ الرّحلات معه."

- "متكبّر على حقّ"، قال عنيد، "فلنشكر الله لأنّنا قريبون بعضنا من الآخر، ولنفترق اللّيلة."

يؤمن
كلّ مَن لديه استعداد حسن

هكذا، بدأ الذّهاب والإياب من **مدينة الأنا** إلى مغارة **عنيد**. في البداية كان زوّاره محصورين بوالدته وإخوته، ورويدًا رويدًا، بدأ بعض الأقرباء يزورونه. أخبار **مدينة الأنت** كانت تنتقل سرًّا من فم إلى فم. بعض أصدقاء الأولاد كانوا يأتون ليروا **عنيدًا** وإخوته، وكان **متكبّر** و**محبّة المجد** يبقيان، بشكلّ دائم تقريبًا في المغارة. وبمساعدة والدتهما، وبما أنّ الماء كان متوّفرًا، زرعا أزهارًا وخضارًا. وقطع الصّبيان أخشابًا كبيرة وصنعوا منها المقاعد وملأوا الباحة بها. وكان كلّ من يأتي ليراهم، لا يقوى على الرّحيل.

كان **عنيد** يفكّر ساعات ساعات في أنّه بعد رحيله عن **مدينة الأنا**، أصبح يرى أناسًا وأصدقاء أكثر بكثير ممّا لو كان يسكن هناك. الكثير من سكّان **مدينة الأنا** كانوا يعملون في الحقول المجاورة، وكانوا يعبرون من هناك ليرتاحوا قليلاً. كان الأولاد يستقبلونهم جميعًا بشكلّ جيّد، ويقدّمون لهم كلّ ما كان لديهم.

لم تتأخّر الأخبار عن الوصول إلى قصر **عجرفة**، وتجلّت ردّة فعلها الأولى المعارضة في إغلاق الباب الوحيد للسّور. وجعلت عنده بوّابًا، لكي يتولّى فتح الباب فقط لهؤلاء الّذين يعملون خارجًا. لكنّ البوّاب، إمّا لأنّه كان إنسانًا ثرثارًا، وإمّا لأنّه كان يملّ طوال النّهار وحده، كان ينساق بسهولة إلى الأحاديث، ويرغب في معرفة ما كان يحدث في المغارة المجاورة، ومن هم الّذين كانوا يذهبون إليها. وبما أنّه كان فضوليًّا، قرّر ذات يوم أن يذهب هو أيضًا إلى هناك، اعتقادًا منه أنّه بتوبيخ هؤلاء الأولاد الأغبياء قد يربح رضى الملكة. غير أنّه، وفي وقت قصير، بدأ هو أيضًا الذّهاب والإياب.

عندما علمت **عجرفة** بذلك، طردته من عمله. أمّا هو، ولشدة فرحه، رمى

المفتاح الكبير جدًّا والثّقيل في النّهر. وهكذا تحرّر هو أيضًا، وبقي الباب مفتوحًا دائمًا.

ندمت الملكة كثيرًا لأنّها لم تخرج **عنيدًا** من الوسط، فلو فعلت لكانت الآن مرتاحة البال. ومع مرور الوقت كان قلقها يزداد، فهؤلاء الّذين كانوا يدخلون ويخرجون من وإلى **مدينة الأنا**، ويؤمنون بكلمات **عنيد**، بدأوا يتكاثرون. بحسب رأيها، لم يكن سكّان **مدينة الأنا** الجدّيون ليؤمنوا بوجود إله غير منظور وحاضر في كلّ مكان. فهذه الأمور هي لبعض الجهلة الأغبياء. لكنّ **عنيدًا**، وبمعونة الله، نجح في إقناع عدد كبير من سكّان مدينته. كان يقول لهم إنّ كلّ من عنده استعداد حسن يستطيع أن يصغّر أناه لكي يدخل إلى **مدينة الأنت** ويؤمن.

إرادة الله وحدها لا تكفي...

مع مرور الوقت، كان الكثير من النّاس يضغطون على **عنيد** لكي يرحلوا من هناك، ويذهبوا معًا لكي يستقرّوا في **مدينة الأنت**. إلاّ أنّه بدا غير مستعجل، وكأنّه ينتظر أمرًا. كانت والدته وإخوته أوّل الّذين أرادوا الرّحيل، لكنّهم لم يضغطوا عليه، لأنّهم كانوا يعرفون سرّه: أراد أن يرى أباه ويكلّمه، ولو لمرّة واحدة، فهو لا يستطيع أن يذهب إلى **مدينة الأنا**، والسّيّد **متفاخر**، منذ رحيل ابنه، لم يقم بزيارته ولو لمرّة واحدة. كان **عنيد** يطلب إلى الله أن يُظهر له ما عليه أن يفعل، منتظرًا استجابته.

استيقظ اليوم باكرًا جدًّا، مع بزوغ الفجر، كما كان قد اعتاد منذ كان في **مدينة الأنت**. صعد إلى المرتفع الصّغير، وجلس هناك حتّى شروق الشّمس. كان يشعر بالوحدة مرارًا حتّى صارت كأنّها صديقه المفضّل.

بالقرب من هناك، وفي حفرة صغيرة في الصّخرة، صنع صديقاه الطّائران عشّهما الجديد، فهما مذ بدأ النّاس يتردّدون إلى المكان، قد تركا المغارة بحثًا عن ملجأ آخر. من هناك كان يرى **مدينة الأنا** بأسوارها العالية، وقصر **عجرفة** الكريستاليّ الجليديّ. هكذا هي قلوب النّاس الّذين لا يعرفون الله، إنّها جليديّة. فقط حرارة الله تستطيع إذابة الجليد.

كان **عنيد** يتألّم من أجل النّاس في **مدينة الأنا**. لكنّه كان يتألّم أيضًا من أجل هؤلاء الّذين رحلوا غير محتملين اضطهاد **عجرفة** وتصرّفات رجالها. كان يراهم ينامون هنا وهناك، بعضهم تحت الأشجار، وبعضهم الآخر في شقوق إحدى الصّخور، والّذين كان عندهم أولاد بنوا بيوتًا نقّالة مؤقتة. نظر إليهم فشعر بأنّه ليس بوسعه تعذيب هؤلاء النّاس بالانتظار. هناك شيء ما في داخله يقول له إنّ عليهم أن يرحلوا. لقد حانت السّاعة.

انتشر الخبر أنّهم سيرحلون بعد ثلاثة أيّام، فشعروا بالفرح وراحوا يستعدّون. **عجرفة** كانت هي أيضًا فرحة، فهي تحضّر حفلة لامعة، لأنها ستتخلّص أخيرًا من **عنيد** ورفاقه.

في اللّيلة الأخيرة بدأ كثير من سكّان **مدينة الأنا** بالوصول مع بعض الأغراض في أيديهم. إنّهم هؤلاء الّذين اتّخذوا قرارهم في اللّحظة الأخيرة.

دقّت ساعة الرّحيل. **عنيد** وإخوته يتمهّلون باستمرار، يرون والدتهم قلقة، تراقب الطّريق والأشخاص الآخرين الآتين.

- "أتعتقدين أنّه سيأتي يا أمّي؟" سألوها.
- "لا أعتقد ذلك، إنّه عنيد جدًّا. حاولت كثيرًا أن أقنعه، ولكنّه لم يوافق. أعتقد أنّه يجب ألّا نتأخّر أكثر، فلننطلق."

أعطى الابن الأكبر سنًّا الإشارة، فانطلقوا: كان الرّجال في مقدّمة الموكب وفي مؤخرته، أمّا النّساء والأولاد فكانوا في الوسط.

عادت السّيّدة **مجد باطل** إلى الوراء لكي تلقي نظرة أخيرة إلى الطّريق.

- "توقّفوا!" صرخت منذرة: "إنّه آتٍ. إنّه آتٍ!"
- "إنّهما اثنان،" صرخ أحدهم.

نظر الأولاد وهم لا يصدّقون عيونهم"

- "الأب والجدّ **عنيد**! هل هذا معقول؟"

رفع هذا الأخير عصاه من بعيد وحيّاهم، فركضوا نحوه بفرح كبير، وسقط الواحد في حضن الآخر.

بقي **عنيد** لوقت طويل في حضن أبيه.

- "كنّا ننتظرك،" قالت الأم، "حتّى ولو في اللّحظة الأخيرة، كنّا ننتظرك."
- "أراد الجدّ أن يرافقكم فأحضرته إلى هنا؟"
- "هل هذا يعني أنّك لن تأتي؟"

انتظر الكلّ جوابه بلهفة:

- "أنا مواطن حقيقيّ لـ **مدينة الأنا**. لا يوافقني أن أهمل كلّ شيء. هناك شيء يشدّني إلى هنا."
- "فقط "أناك" الكبيرة تشدّك إلى هنا يا **متفاخر**، لقد وضعت "أناك" قبل عائلتك!" قالت له زوجته بمرارة.
- "الأفضل أن ترحلوا."

- "بكلام آخر، إنّ إلهك يا **عنيد** لا يريدني معكم."
- "إرادة الله وحدها لا تكفي يا أبي، إرادة الإنسان مهمّة أيضًا."

حضنهم الوالد واحدًا واحدًا ووّدعهم.

- "أنا المسؤول،" قال الجدّ، "لأنّني حتّى اليوم لم أفتح رأسك بهذه العصا."

من دون أن ينطقوا بكلّمة أخرى، أمسك الأولاد جدّهم وانطلقوا. راقبت السّيّدة **مجد باطل** زوجها، والدّموع في عينيها.

- "سننتظرك دائمًا"، قالت له.
- "لا أعرف! ربّما في وقت ما سأقرّر."
- "سنعيش على هذا الأمل."

لم يمرّ وقت طويل، حتّى أصبح الله غير المنظور، بالنّسبة إلى **عجرفة** المتجبّرة، كابوسًا. بدأت تتكلّم وتصرخ وحدها، وتضرب الهواء. وشيئًا فشيئًا بدأت تفقد عقلها، إلّا أنّها استمرت في محاولة التّغلّب على هذا الإله.

سكّان «مدينة الأنا» في «مدينة الأنت»

لم يترك الله هؤلاء النّاس المتواضعين يتعّذبون كثيرًا، فوصلوا سريعًا إلى **مدينة الأنت**. هناك، على مدخل القناة الصّغيرة، كانت **تواضع** تنتظرهم، وبابتسامتها العذبة وكلماتها الطيّبة ساعدت كلّ النّاس على الدّخول إلى **مدينة الأنت**، وكان **عنيد** آخرهم.

- "لم أتوّقع أن أجدك هنا،" قال لها.
- "أنسيت أنّني قد وعدتك عندما كنت راحلاً بأنّني سأنتظرك هنا؟"
- "وعرفتِ في أيّ يوم سأعود؟"
- "كلّ يوم، بالنّسبة إليّ، كان اليوم المحتمل."

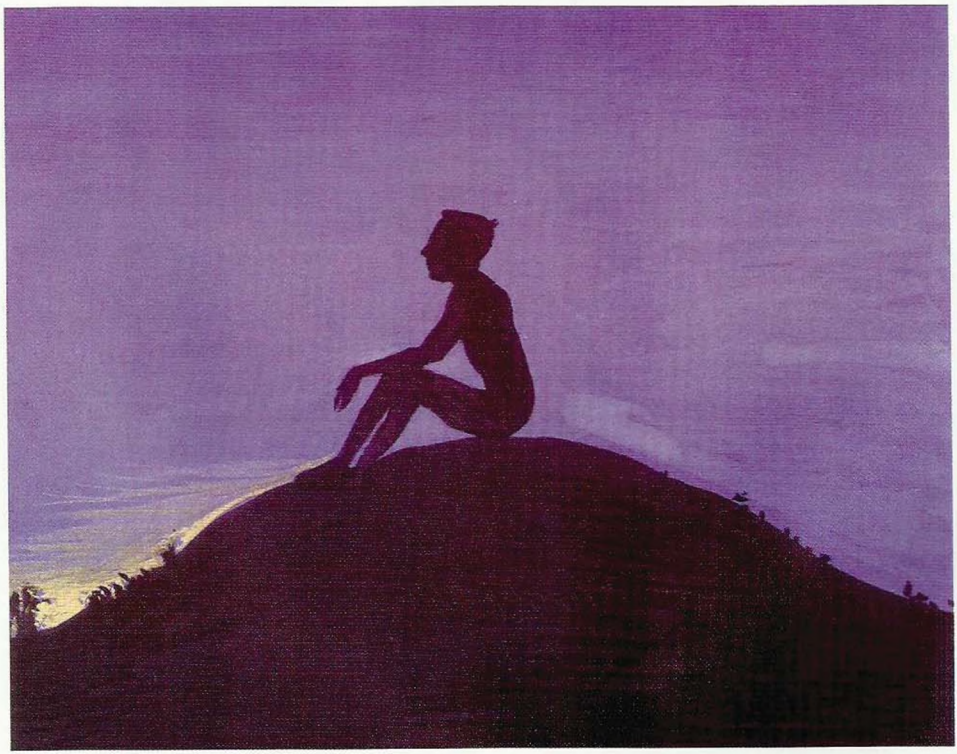

سكّان **مدينة الأنا**، الّذين وصلوا لأوّل مرّة إلى **مدينة الأنت**، لن ينسوا أبدًا هذا النّهار. **هدوء** و**رؤوف** وكلّ الأولاد استقبلوهم عند مدخل المدينة بالأغاني. أهل الأولاد وكلّ سكّان **مدينة الأنت** لم يوفّروا سبيلاً لإراحة المسافرين. ساعدوهم على الاستحمام، وحضّروا لهم الطّعام. لم يصدّق سكّان **مدينة الأنا** عيونهم: هذه المحبّة الحارّة لم يروا مثيلاً لها في حياتهم. المفاجأة كانت تلي المفاجأة: فسكّان **مدينة الأنت** كانوا قد بنوا لهم بيوتًا جديدة، وقبل أن يحلّ المساء، رتّبوا أوضاع الكلّ. وكلّما كانت الأيام تمرّ، كان سكّان **مدينة الأنا** يشعرون بحرارة المحبّة، ممّا ساعدهم على إزالة القشور عن عيونهم، فامتلأت حياتهم نورًا، ونجح الجميع في التخلّص من "أناهم" الكبرى، وبذلك استطاعوا أن يشعروا بفرح الحياة الّتي تسود فيها "الأنت".

الرّحلات الأبديّة

ان الوقت يمرّ بسرعة، والنّاس ارتاحوا نفسيًّا في وطنهم الجديد. لكن، لسوء الحظّ، كان بعضهم متمسّكًا برغبته في امتلاك كلّ شيء، واهتمامه بنفسه فقط، غير مبالٍ بالآخرين. هؤلاء كانوا هم الّذين لم يتمكّنوا من طرد "الأنا" من أعماق قلوبهم، لكي يضعوا مكانها "الأنت". لذلك، ورويدًا رويدًا، صار الهدوء والإحسان، بالنّسبة إليهم، مملّين ورتيبَيْن. التّسليات المجنونة، والشّجارات اليوميّة في وطنهم، كان لها حيويّتها، على حدّ تعبيرهم. وهكذا، قرّروا العودة أدراجهم. لكن، مَن يعِش، ولو قليلاً في **مدينة الأنت**، لن يتمكّن من العيش بشكل دائم في **مدينة الأنا**. وهكذا بدأت الرّحلات بين **مدينة الأنت** و**مدينة الأنا**، وهي ما زالت مستمرّة حتّى يومنا.

هؤلاء البشر المساكين هم الأكثر شقاء في العالم، لا يرتاحون في أيّ مكان، لأنّهم عندما يكونون في مدينة ما، يرغبون في الأخرى. هذا ما حدث أيضًا مع السّيّد **متفاخر**. ذات مرّة، قرّر الذّهاب إلى **مدينة الأنت**، لكنّه لم يتمكّن من البقاء فيها. وهكذا صار هو أيضًا من هؤلاء المسافرين الأشقياء الكُثر.

كلّما كان المرء شابًّا، تحمّل الرّحلات العديدة. لكن، متى مرّت عليه السّنون، فمن الأفضل له أن يقرّر البقاء بشكل دائم في **مدينة الأنت**. لأنّ الرحلات في عمر الشيخوخة متعبة، والويل لمن يبقى دائمًا في **مدينة الأنا**.

والأكثر ذكاءً وحظًّا، هم الأولاد الّذين يجدون **مدينة الأنت** منذ صغرهم، فيحظون برفقة **هدوء** وأصدقائها، وإذا كان لديهم عناد **عنيد**، فلن يرغبوا أبدًا في الرّحيل من هناك.

عن نفس حنينة نور البريدي، أذكروها بصلواتكم.

تقديم
أخويّة نشر الإيمان الأرثوذكسي
ص ب ١٠٤ - ذوق مكايل

جميع الحقوق محفوظة
لدير مار مخايل . نهر بسكنتا

إن عنيدًا هو واحد من سكّان مدينة الأنا،
وقد قرّر يومًا أن يكتشف مدينة الأنت،
فانطلق يبحث عنها مزوّدًا بنصيحة ملكته عجرفة،
وهي أن يجعل "أناه" دائمًا فوق كلّ شيء.
كيف سيتمكّن أخيرًا من اكتشاف مدينة الأنت؟
بأيّ أناس سيلتقي في هذه المدينة المختلفة تمامًا عن مدينته؟
أيّ معنى سيكون لرحلته هذه بالنسبة لسكّان مدينة الأنا،
وبالتّالي بالنّسبة إلى كلّ واحد منّا؟
فلنسافر معه، ولنكتشف خارطة هذه الطّريق،
المؤلَفة من بعض أقوال الشّيخ المغبوط باييسيوس،
والّتي يمكننا، كبارًا وصغارًا، أن نمشي بحسبها.

دير مار مخايل . نهر بسكنتا